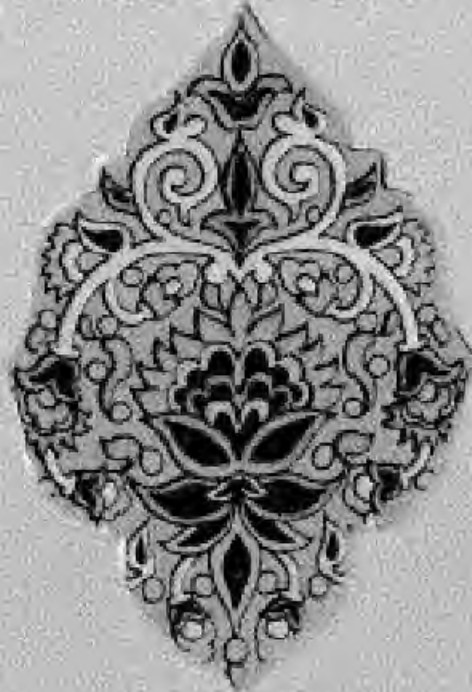


أبي مطهر

في نجاة أبي طالب



تأليف

أحمد بن الزين د.حلق الشافعي الكلي

المتوفى عام ١٣٠٤ هـ

إعداد وتقديم

صالح الورداني

علي صراط الحق

دار
العالم والنور

أَسْنَى الْمَطَالِبِ

فى نجاته أبى طالب

تأليف

أحمد بن الزينى دحلان الشافعى المكى

المتوفى عام ١٣٠٤ هـ

إعداد وتقديم

صالح الوردانى

على صراط الحق

الهدى
للإعلام والنشر

اسم الكتاب: اسنى المطالب فى نجاته ابن طالب

المؤلف: احمد بن زيني دحلان

الناشر: الهدف للإعلام

رقم الإيداع: ٩٩/١١٥٦٢

التسجيل الدولي: 977-5751-17-9

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم.....م

إن قضية تكفير الآباء والأجداد والأمهات ممن لهم صلة بالرسول (ص) إنما هي قضية سياسية وليست دينية.

فليست هناك نصوص قطعية تجزم بذلك وإنما هي مجموعة من الروايات محل أخذ ورد وقبول ورفض بين الفقهاء.

ولقد ترسخت هذه القضية في العصر الأموي حين كان الصراع على أشده بين الأمويين وبنى هاشم ثم تبناها فقهاء الشام من بعد.

وجاء العباسيون فأهملوا هذه القضية أو تركوا فكرة التكفير تترسخ في أذهان المسلمين من أجل الخط من بنى هاشم خصومهم.

من هنا فقد حالت السياسة دون حسم هذه القضية حيث أن الفقه الذي ساد في واقع المسلمين منذ العصر الأموي وحتى الآن هو الفقه المعادي لبنى هاشم وآل البيت، ذلك الفقه الذي تجاوز حدود الآباء والأجداد ليصل إلى شخص النبي (ص) ذاته فيحيطه بكم من الروايات التي تحط من قدره وتشوه صورته بل وتشكك في دوره ورسالته^(١).

ذلك الفقه الذي ارتبط بالحكام ولم يرتبط بالقرآن.

(١) انظر نماذج من هذه الروايات التي تفضح علاقة الرسول بالنساء وتخضعه في دائرة المشرع وتصفه بالظلم تارة والجهل والنسيان تارة وغير ذلك من الصفات التي لا تليق بمقامه (ص) في كتابنا، دفاع عن الرسول.

ذلك الفقه الذى نتجت منه قضايا كثيرة لا تقل خطورة عن القضية التى نحن بصددتها هنا.

مثل قضية الإمامة^(٢).

وقضية الروايات^(٣).

وقضية العقائد التى ورثها المسلمون^(٤).

وقد يسأل سائل: ماهو الهدف السياسى من وراء تكفير آباء النبى وأجداده؟ وهل آباء النبى وأجداده من الأهمية بحيث يصبحون قضية تنعكس على الإسلام؟

والجواب ما يلى:

إن الصراع بين البيت الأموى والبيت الهاشمى له جذوره التاريخية العميقة التى تعتمد إلى ما قبل الإسلام بقرون طويلة. وهذا الصراع قد ولد نوعاً من العداء والخصومة التى لا يمكن أن يمحوها الإسلام^(٥).

لأن الإسلام ببساطة شديدة لا يحول الناس إلى ملائكة.

ولن يجعل أبو سفيان وهند وولدهما معاوية ومن ورائهم بنى أمية يلقون وراء ظهورهم ذلك الإرث العدائى للإسلام وبنى هاشم بمجرد أن دخل الرسول (ص) مكة فاتحاً.

(٢) انظر لنا تثبيت الإمامة وعقائد السنة وعقائد الشيعة.

(٣) انظر لنا النص والسياسة.

(٤) انظر لنا أهل السنة شعب الله المختار.

(٥) انظر النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم للمقرئى وكتب التاريخ.

وهذا هو السر من وراء وضع الرسول لبنى أمية فى دائرة المؤلفة قلوبهم ولم يخرجهم من هذه الدائرة حتى توفى^(٦).

وهذا هو السر وراء حمل معاوية ومن وراءه بنى أمية راية الحرب على علي بن ابى طالب بمجرد أن تمكن وملك القوة.

ولأن معاوية يفتقد إلى الشرعية والوزن التاريخى فى مواجهة علي فقد لجأ إلى الحيلة والمكر واختراع الروايات التى تعلو من قدره وتحط من قدر خصمه.

أما الروايات التى تعلو من قدره فقد سقطت بعد سقوط الأمويين وأعلن فقهاء العصور التالية رفضها وحكموا عليها بالوضع^(٧).

أما الروايات التى تحط من قدر الإمام علي وبنى هاشم فقد تنبه البعض لبعضها ومر أكثرها وتخلل كتب الأحاديث^(٨).

ومن هذه الروايات ما يتعلق بإيمان أبوى النبى وأجداده وأبى طالب.

(٦) رفع عمر أبو سفیان ومعاوية من المؤلفة قلوبهم وأوقف العمل بهذا الحكم. انظر علاقة عمر بمعاوية فى الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ترجمة معاوية وكتب التراجم الأخرى وكتب التاريخ. وانظر لنا السيف والسياسة.

(٧) انظر باب ذكر معاوية فى فتح البارى شرح البخارى ج ٧. وفيه قال إسحاق بن راهويه، لم تصح فى معاوية منقبه. وانظر تطهير الجنان واللسان عن الخطورة والتفوه بطلب معاوية بن أبى سفیان لابن حجر الهيتمى.

(٨) انظر مثلاً قصة زواج علي بإبنه أبى جهل فى كتاب النكاح فى البخارى. وانظر كتابنا الخدعة. وأحاديث نبوية اخترعتها السياسة.

ولو اعتبرنا ان التشكيك فى إيمان آباء النبى وأجداده سوف ينعكس على الإمام علي، فإنه سوف ينعكس بالتالى على الرسول (ص) ومنه سوف ينعكس على الإسلام. فإن العلاقة الوثيقة التى كانت بين الرسول (ص) وعلى ليست علاقة قبيلة وإنما هى علاقة شرعية تشهد بها عشرات النصوص^(٩).

وإذا كان القوم قد شهدوا بصحة الخبر الذى يقول أن الرسول اصطفاه الله من بنى هاشم واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفى قريش من كنانة واصطفى كنانة من ولد إسماعيل فهى سلاله منتقاة بعناية الله سبحانه^(١٠).

وشهد آخرون بأن قوله تعالى ﴿وتقبلك فى الساجدين﴾ دليل على طهارة سلاله النبى (ص)^(١١).

وشهد آخرون بأن النصوص التى تتعلق بالاستغفار للمشركين هى نصوص مدنية لا صلة لها بالواقع المكى وأن الروايات التى رويت حولها غير ثابتة^(١٢).

وأكد آخرون أن الروايات التى تفيد كفر آباء النبى وأجداده وأبو طالب إنما هى فى نفس الوقت تفيد إيمانهم^(١٣).

فمن أين إذن أتى الحكم بالكفر والضلال؟

(٩) انظر كتب السنن أبواب فضائل الإمام علي وانظر خصائص الإمام علي للنسائي.

(١٠) سيأتى ذكر هذا الحديث ضمن فصول الكتاب.

(١١) انظر تفسير الرازى سورة الشعراء.

(١٢) سيأتى بيان ذلك وانظر الفوائد الكامنة فى إيمان السيدة آمنة والتعظيم والمدة فى أن أبوى المصطفى (ص) فى الجنة للسيوطى.

(١٣) سيأتى ذكر ذلك.

لقد كان بنو هاشم طوال تاريخهم يتولون أمور البيت الحرام والاعتناء بالحجاج والقيام بالمهام المقدسة وهذا يعنى أنهم لم يكونوا كبقية الناس.

يعنى أنهم الطائفة الموحدة على دين إبراهيم (ع).

يعنى أنهم الطائفة المميزة خلقا ودينا.

وإن دراسة سيرتهم تؤكد هذه الحقيقة^(١٤).

من هنا يمكن القول أن الطعن فى آباء النبى (ص) وأجداده يعنى الطعن فى النبى ويعنى التشكيك فى اختياره من قبل الله تعالى من باب آخر.

وفى يقينى أن هذا هو الهدف من وراء ذلك كله. فقد دفع الحقد بينى أمية إلى التشكيك فى أصل رسول الإسلام ليكون بابا للتشكيك فى الإسلام.

وهنا تبرز أهمية القضية وخطورتها.

ونعود إلى أبى طالب موضوع الكتاب الذى بين أيدينا طارحين السؤال التالي:

ماهى حقيقة علاقة أبو طالب بالرسول (ص) ؟

وهل كانت علاقة قبلية أم دينية ؟

والإجابة تفرض علينا استعراض العلاقة من بدايتها.

بدأت العلاقة بين الرسول وأبى طالب بعد وفاة عبدالمطلب جد الرسول (ص)

(١٤) انظر سيرة ابن هشام وطهقات ابن سعد وكتب التاريخ وسماتى الإشارة لذلك.

الذي كان عمره يومئذ ثمانية سنوات بوصية من عبدالمطلب الذي أوصى ولده أبو طالب بالرسول فجعله في كفالته^(١٥).

والسؤال هنا لماذا جعل عبدالمطلب النبي في كفالة أبي طالب ولم يجعله في كفالة شقيقه عبدالعزى بن عبدالمطلب الذي عرف فيما بعد بأبي لهب؟

والجواب هو أن الأمور لم تكن بالاختيار أو بالمفاضلة وإنما هي أمور مرتبة من قبل الله سبحانه. ولو كان الرسول في كفالة عبدالعزى لكان الأمر غير الأمر. أي أن الرسول لو لم يكن مختاراً من البداية للرسالة لكان من الممكن أن يقع من نصيب عبدالعزى ولكن لكونه رسولا مختاراً فيجب أن يكون في كفالة من يدرك هذه الحقيقة وهو مهيباً لقبولها والسير في ظلالها. ولذا كان في حضنة عبدالمطلب ثم في كفالة أبي طالب وهذه هي الإشارة الأولى لإيمان أبي طالب.

وتروى الكتب أن الرسول (ص) رحل مع عمه أبي طالب إلى الشام في تجارة فلفت الرسول انتباه بحيرا الراهب وتنبأ له بالنبوة. وكذلك لفت الرسول انتباه بعض الكهان وأهل الضرامسة مما دفع بأبي طالب إلى أن يعزل النبي عن هؤلاء ويغيبه عنهم^(١٦).

وهذه هي الإشارة الثانية لإيمان أبي طالب.

فقد كان من الممكن لأبي طالب أن يستثمر هذه الفرصة التي لفت فيها النبي أنظار القوم في تقوية مركزه وتحصيل الشهرة بين العرب لكنه فعل العكس من ذلك ----

(١٥) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ.

(١٦) انظر المراجع السابقة.

وغيب النبي عن الأنظار. وذلك الموقف ليس له سوى تفسير واحد وهو الحفاظ على النبي المتريص به من الأعداء والخصوم، ولو لم يكن أبو طالب ينظر إلى ابن أخيه على أنه نبي لشهره بين الناس بدافع القبلية.

وهذه هي الإشارة الثالثة لإيمان أبي طالب.

ويروى أن أبا طالب خطب في الناس حين تزوج رسول الله بخديجة فقال بعد أن مدح النبي وبنى هاشم، الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل. ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلأرجح. وهو والله يعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم^(١٧).

فمن أين لأبي طالب هذا العلم بمستقبل ابن أخيه ؟

وإذا كان قد سمع هذا الكلام من سواه فهذا يعنى أنه قد آمن به.

وهذه إشارة رابعة لإيمان أبي طالب.

ويروى أن أبا طالب عثر على علي وهو يصلى مع الرسول (ص) في شعاب مكة مستخفين عن الناس فلم يعترض عليه. ولم ينهه عن فعله بل باركهما وأيدهما ووعد الرسول بالنصرة^(١٨).

(١٧) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ.

(١٨) المراجع السابقة.

وهذه إشارة خامسة إلى إيمان أبي طالب.

وحين صدع رسول الله (ص) بالدعوة ضغط كبراء قريش وسادتها على أبي طالب وهددوه كي يمنع الرسول من الدعوة للإسلام ويسلمه لهم فأبى وقبل معاداة قريش على معاداة رسول الله (ص) وقال، اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت. فوالله لا أسلمك أبداً (١٩).

فهل هذا الموقف يدل على الإيمان أم يدل على القبلية ؟
بالطبع يدل على الإيمان.

وأين القبلية وقد نبذ قومه وعاداهم من أجل رسول الله ؟

وحين تأمرت قريش على المسلمين وعذبتهم وحرضت كل قبيلة على البطش بمن آمن منها جمع أبو طالب بنى هاشم ودعاهم إلى نصرة الرسول وحمايته فاجتمعوا إليه وقاموا معه (٢٠).

ولما قرر الرسول (ص) دفع المسلمين إلى الهجرة للحبشة هرباً من البطش والأذى أرسلت قريش وراءهم من يجرح النجاشي على المسلمين كي يطردوهم من بلاده. وما كان من أبي طالب إلا أن أرسل إلى النجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم (٢١).

(١٩) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ.

(٢٠) المراجع السابقة.

(٢١) المراجع السابقة.

وهذا موقف ينم عن إيمانه. فقد تخطى بموقفه هذا حدود رسول الله الذي يعيش في حمايته ليصل إلى حدود المسلمين الذين هم بعيدون عنه.

وإذا كانت هناك مصلحة قبلية كما يزعمون وراء نصرة أبو طالب للنبي (ص)، فما هي المصلحة القبلية من وراء نصرته للمسلمين خارج قريش وحدود العرب ؟

ولما قررت قريش مقاطعة بني هاشم وحصروهم في الشعب وكتبوا بذلك صحيفة علقوها في جوف الكعبة لم يتراجع أبو طالب عن نصرة النبي ومآزرته وشاركه كل بني هاشم عدا عبد العزى بن عبدالمطلب (أبو لهب)^(٢٢).

وتحمل أبو طالب ومعه النساء والأطفال الجوع والعطش والحرمان من أجل الإسلام. وكان الأجدد بالقبيلة أن تدفع بأبي طالب - وقد استمر الحصار سنوات - إلى التخلي عن الرسول (ص) في سبيل رفع الحصار. ولكنه الإيمان.

الإيمان هو المبرر الوحيد الذي يجعل أبو طالب يضحي مثل هذه التضحية.

وإذا كان القوم يعترفون بحب أبي طالب للرسول (ص) فسوف نعرض لبعض الأحاديث الواردة في الحب على لسان الرسول (ص).

قال (ص): من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان^(٢٣).

(٢٢) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتاب التاريخ.

(٢٣) رواه الترمذي.

والسؤال هنا، ألا ينطبق هذا الحديث على سلوك أبى طالب ومواقفه من الرسول والدعوة ؟

وقال (ص) : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين^(٢٤).

ولقد قدم لنا أبو طالب البراهين الساطعة والدلائل القاطعة على هذا الحب فاستحق الإيمان.

وقال (ص) : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده^(٢٥).

وإن أبى طالب لم يسلم المسلمون من لسانه ويده فقط بل نصر رسول الله ونصرهم. أفلا يستحق بعد هذا أن يكون مسلماً.

وقال الحسن البصرى : الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل^(٢٦).

وليس هناك من تعبير أدق من تعبير البصرى فى وصف حال أبى طالب فهو صدق بعمله ما وقر فى قلبه. وفى هذا القول كفاية.

أما هذا الكتاب الذى بين أيدينا فقد حشد الكثير من الدلائل والبراهين حول إيمان أبو طالب وترك القارئ يتبحر فيها ويستبصر بها محكما عقله وفطرته مسترشداً بحركة النبى (ص) وسيرته داعين المولى عز وجل طالبين منه الهداية والرشاد.

صالح الوردانى

القاهرة

(٢٤) البخارى ومسلم كتاب الإيمان.

(٢٥) مسلم كتاب الإيمان

(٢٦) انظر شرح العقيدة الطحاوية باب الكلام فى زيادة الإيمان.

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين..

أما بعد.

فيقول العبد الفقير خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام
المرتجى من ربه الغفران أحمد بن زيني دحلان قد وقفت على تأليف جليل للعلامة
النبيل مولانا السيد محمد بن رسول البرزنجي المتوفى سنة الف ومائة وثلاثة في نجاته
أبوى النبي (ص) وذيله في آخره بخاتمة أبي طالب عم النبي (ص) وأثبت نجاته^(١).

وأقام أدلة على ذلك وبراهين من الكتاب والسنة وأقوال العلماء يحصل لمن تأملها
أنه ناج بيقين مع بيان معان صحيحة للنصوص التي تقتضي خلاف ذلك حتى صارت
جميع النصوص صريحة في نجاته وسلك في ذلك مسلكا ماسبقه إليه أحد بحيث ينقاد
لأدلته كل من أنكر نجاته ومحمد.

وكل دليل استدل به القائلون بعدم نجاته قلبه عليهم وجعله دليلا لنجاته وتتبع كل
شبهة تمسك بها القائلون بعدم النجاة وأزال ما اشتبه عليهم بسببها وأقام دليلا على
دعواه.

(١) البرزنجي، [نسبة إلى قرية برزنج في العراق] من أعيان القرن الثاني عشر وينتهي
نسبه إلى الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن
الحسين بن علي بن أبي طالب. له الكثير من المصنفات، انظر سلك الدرر في أعيان
القرن الثاني عشر للمرادي الدمشقي. والزيني دحلان هو: أحمد بن زيني دحلان
المكي الشافعي صاحب كتاب خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ت ١٣٠٤هـ.

وكان في بعض تلك المباحث مواضع دقيقة لا يفهمها إلا الفحول من العلماء ويعسر فهمها على القاصرين من طلبة العلم وبعض تلك المباحث زائدة عن إثبات المطلوب ذكرها تقوية لما أثبتته وكشف الحجاب كل محجوب.

فأردت أن ألخص في هذه الوريقات المقاصد التي أثبت بها نجاته أبي طالب ليكون من عرفها في كل محفل هو الغالب.

واجتهدت في تسهيل عبارات تلك المباحث الدقيقة حسب الإمكان وحذفت ما كان زائدا عما هو المقصود بالبيان وزدت كلاما يتعلق بذلك وجدته في المواهب اللدنية والسيرة الحلبية له مناسبة لهذه القضية.

فجاء الجميع واقفا بتخصيل المراد نافعا إن شاء الله كل من وقف عليه من العباد وسميت هذا المؤلف (أسنى المطالب في نجاته أبي طالب).

وأسأل الله تعالى الإعانة والتوفيق والإخلاص والقبول وحسن الختام بجاه سيدنا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام.

الباب الأول: إثبات الإيمان

فأقول إن العلامة البرزنجي أثبت أولاً حصول الإيمان لأبى طالب بالحجج والبراهين ثم أثبت له النجاة وخرج ذلك على أرجح الأقوال عند المحققين.

أما إثبات الإيمان فإنه يتوقف أولاً على معرفة معنى الإيمان ومعناه شرعاً التصديق القلبي بوحداية الله تعالى ورسالة النبي (ص) والتصديق بكل ما جاء به عن الله تعالى^(١).

- (١) أصل الإيمان في اللغة التصديق. يقال آمنت به وآمنت له إذ صدقته ومنه قوله تعالى: «وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا» [يوسف، ١٧]. أي بمصدق.
- وقال أبو الحسن الأشعري ت ٣٢٤هـ: أن الإيمان هو التصديق لله ولرسوله عليهم السلام في أخبارهم ولا يكون هذا التصديق صحيحاً إلا بمعرفته. والكفر عنده هو التكذيب. وإلى هذا القول ذهب ابن الراوندي والحسين بن الفضل البجلي. انظر أصول الدين للبغدادى عبدالقاهر ابن طاهر التميمي ت ٤٢٩هـ.
- وقال ابن أبي العز الحنفى ت ٧٩٦هـ. اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافاً كثيراً، فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المذنبية وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين إلى أنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان. وذهب الكثير من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوى، أنه الإقرار باللسان والتصديق بالجنان. ومنهم من يقول، إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصل. وإلى هذا ذهب الماتريدى ت ٣٣٣هـ. ويروى عن أبي حنيفة. انظر شرح العقيدة الطحاوية تحقيق أحمد شاكر طبع القاهرة.
- واجمعوا على أنه لو صدق بقلبه وأقر بلسانه وامتنع عن العمل بهجوارحه، أنه عاص لله ورسوله. ٥. يستحق للوعيد.
- وقالوا، أن القول قسمان، قول بالقلب وهو الاعتقاد.
- وقول باللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام.
- والعمل قسمان، عمل القلب وهو نية وإخلاصة.
- ، وعمل الحوارج.
- فإذا ما زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله. وإذا زال تصديق القلب لم ينفع بقية الآخر. فإن تصديق القلب شرط في اعتبارها وكونها نافعة. وإذا بقى تصديق القلب وزال الباقي فهذا موضع المعركة.

وأما الإسلام شرعاً فهو الانقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية^(٢).

الإسلام علانية والإيمان في القلب فقد يجتمعان وذلك في المصدق بقلبه المقر بالشهادتين.

وينفرد الإسلام عن الإيمان في المنافق الذي ينطق بالشهادتين وينقاد لأحكام الإسلام ظاهراً وهو بقلبه مكذب غير مصدق.

وينفرد الإيمان عن الإسلام فيمن يصدق بقلبه ولا ينطق بالشهادتين عناداً ولا ينقاد للأفعال الظاهرة الشرعية وذلك ككثير من علماء اليهود الذين عرفوا أن سيدنا محمداً (ص) رسول صادق ولم ينطقوا بالشهادتين ولم يتبعوه ولم ينقادوا لما جاء به.

وقد قال الله تعالى فيهم «يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ» [البقرة: ١٤٦].

فهم لم يقرؤا برسائله عناداً ويعتقدون في قلوبهم صدقه في دعوى الرسالة فهؤلاء مؤمنون به في الباطن مكذبون به في الظاهر عناداً فلا ينفعهم الإيمان الباطني حيث كان تكذيبهم الظاهري عناداً.

٢ - والمعنى اللغوي وهو التصديق بالقلب هو الواجب على العبد حقاً لله. وهو أن يصدق الرسول (ص) فيما جاء به من عند الله. فمن صدق الرسول فيما جاء به من عند الله فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى. انظر شرح الطحاوية.

(٢) وهو ما يحكم الفقهاء بفسق تاركه واعتباره من العصاة وهو مفروض الطاعات كالصلاة والزكاة والصيام والحج واجتناب المحارم. انظر شرح الطحاوية.

وأما إذا كان عدم الانقياد الظاهري وعدم النطق بالشهادتين لعذر لا لعناد فإن الإيمان الباطني ينفع صاحبه باطنًا عند الله في الدار الآخرة ولكنه في الظاهر يعامل معاملة الكفار.

فيقال إنه كافر بحسب أحكام الدنيا.
والعذر الذي يمنع من الانقياد في الظاهر له أسباب منها، الخوف من ظالم إن أظهر إسلامه وانقياده أن يقتله أو يؤذيه أذى لا يحتمل.

أويؤذى أحدًا من أولاده أو أقاربه فهذا يجوز له إخفاء إسلامه.
بل لو أكرهه الظالم على التلفظ بالكفر فإنه يجوز له أن يتلفظ به.

وقد أشار سبحانه وتعالى إلى هذا بقوله «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [النحل، ١٠٦].

ومن هذا القبيل امتناع أبي طالب من الانقياد في الظاهر خوفاً على ابن أخيه وهو سيدنا محمد (ص) فإنه كان يحميه وينصره ويدفع عنه كل أذى ليبليغ رسالة ربه.

وكان كفار قريش يمتنعون من إيذاء النبي رعاية لأبي طالب ولحمائيته. وكانت رئاسة قريش بعد عبدالمطلب لأبي طالب فكان أمره عليهم نافذاً وحمائيته عندهم مقبولة لعلمهم بأن أبا طالب على ملتهم ودينهم ولو علموا أنه أسلم وتبع النبي (ص) فإنهم لا يقبلون حمايته ونصره بل كانوا يقاتلونه ويؤذونه ويفعلون معه من الأذى أكثر مما يفعلونه بالنبي (ص).

ولا شك ان هذا عذر قوى لأبى طالب مانع من إظهار الانقياد الظاهر والاتباع للنبي فالهنا كان يظهر لهم أنه على دينهم وملتهم وأنه إنما يدافع عن النبي لأجل القرابة التى بينه وبينهم.

وكانوا يعتقدون أنه يحميه وينصره للحمية لا للاتباع فى الدين بل للحمية التى كانت مشهورة بين العرب وقد كان فى الباطن قلبه مملوًا بتصديقه (ص) لما شاهده من المعجزات كما سيأتى إيضاح ذلك كله.

وكان يأتى فى الظاهر بالفاظ تدل على ذلك وبالفاظ أخرى يوهم بها على الكفار أنه على دينهم وليس متابعا للنبي (ص) ليدفع بها عن نفسه الشبهة والتهمة من أنه متبع للنبي لينفذوا حمايته ونصره.

ثم ذكر البرزنجى اختلاف العلماء فى التطلق بالشهادتين هل هو شرط أى جزء من مسمى الإيمان أو شرط لإجراء الأحكام الدينية. فيترتب على كونه شرطاً أى جزء إن تارك ذلك مع القدرة يكون كافراً مخلداً فى النار.

وعلى كونه شرطاً لإجراء الأحكام الدينية يكون غير مخلد.

فقال، قال السفاقسى فى شرح التمهيد، أن كون الإيمان هو التصديق فقط هو الرواية الصحيحة عن أبى حنيفة^(٢).

وقال العلامة العيني فى شرح البخارى، أن الإقرار باللسان شرط لإجراء الأحكام

(٢) كما أشرنا سابقا وانظر شرح الضحاوية وأصول الدين.

حتى أن من صدق الرسول في جميع ما جاء به فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى وإن لم يقر بلسان^(٤).

وقال حافظ الدين النسفي: إن ذلك هو المروى عن أبي حنيفة وإليه ذهب أبو الحسن الأشعري في أصح الروايتين عنه وهو قول أبي منصور الماتريدي^(٥).

وقال عضد الدين في المواقيت: الإيمان عندنا هو التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة.

وقال شارحه السيد الشريف: يعني بقوله عندنا أتباع أبي الحسن الأشعري.

وقد قرر الغزالي هذا المذهب في إحياء علوم الدين وأطال فيه.

وهو قول إمام الحرمين وقول الأشاعرة وقول القاضي الباقلاني والأستاذ أبي إسحق الأسفرائيني ونسبه التفتازاني إلى جمهور المحققين^(٦).

واستدل له بالأحاديث منها قوله (ص)، من علم أن الله ربه وإنني نبيه صادقاً عن قلبه حرم الله لحمة على النار^(٧).

(٤) انظر كتاب الجنائز وكتاب الإيمان.

(٥) كما أشرنا سابقاً.

(٦) إمام الحرمين هو الفقيه الشافعي المعروف بضياء الدين أبو المعالي عبد الملك الجويني له الكثير من المصنفات ت عام ٤٧٨ هـ.

والباقلاني هو القاضي أبو بكر محمد بن القاسم المعروف بالباقلاني البصري من علماء الكلام الأشاعرة نسبة إلى أبي الحسن الأشعري ت ٤٠٣ هـ.

والأسفرائيني هو إبراهيم بن مهران الأسفرائيني من فقهاء الشافعية وأهل الكلام ت ٤١٨ هـ.

(٧) رواه الطبراني في الكبير عن عمران بن حصين.

وروى مسلم عن عثمان بن عفان أن رسول الله قال من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة^(٨).

وروى الطبراني عن سلمة بن نعيم الأشجعي - رضى الله عنه - قال قال رسول الله (ص) من لقى الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة قال قلت يا رسول الله وإن زنى وإن سرق قال، وإن زنى وإن سرق^(٩).

قال وفي أحاديث الشفاعة من هذا شيء كثير حتى يقال له (ص) اخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة خردل من إيمان بتكرير أدنى ثلاث مرات.

وعقد البرزنجي فصلاً مستقلاً ذكر فيه كثيراً من تلك الأحاديث وكلها دالة على أن من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من إيمان لا يخلد في النار.

ونقل التفتازاني في شرح المقاصد والكمال بن الهمام في المسامرة وابن حجر في شرح الأربعين، إن شرط النجاة في الآخرة إذا لم يطالب - به أي النطق بالشهادتين - فإذا طُلب به وامتنع عناداً وكراهة للإسلام أي امتنع امتناعاً على وجه الآباء عن الإسلام والكراهية والعناد فلا ينجو.

ويضهم من هذا القيد أنه لو ترك النطق بعد المطالبة لا إباءاً عنه ولا عناداً بل لعذر صحيح وقلبه مطمئن بالإيمان أنه لا يكون كافراً فيما بينه وبين الله تعالى.

(٨) رواء مسلم في كتاب الإيمان وهو دليل صريح على إيمان أبي طالب حيث ربط الإيمان بالعلم لا بالنطق.

(٩) روى هذا الحديث أيضاً مسلم في كتاب الإيمان والبحارى كتاب اللباس وكتاب الجنائز. انظر المؤلف والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.

بل لو تكلم بالكفر والحالة هذه لا يضره.

قال تعالى: «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان» فهذه النصوص كلها تدل على أن الإيمان هو التصديق فقط ويقابلها القول بأن التصديق وحده لا يكفي بل لابد من النطق باللسان مع التصديق فمن لم ينطق مع قدرته كان مخلداً في النار وقال بهذا كثيرون^(١٠).

ونقل النووي في شرح مسلم اتفاق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على هذا القول واعترضوا عليه في حكاية الاتفاق^(١١).

قال ابن حجر في شرح الأربعين أن لكل من الأئمة الأربعة قولاً بأنه مؤمن عاص بترك التلفظ بل الذي عليه جمهور الأشاعرة وبعض محققى الحنفية كما قال المحقق الكمال بن الهمام وغيره أن الإقرار باللسان إنما هو شرط لإجراء أحكام الدنيا فحسب انتهى.

ثم ذكر اختلاف العلماء في أنه هل يشترط لفظ الشهادتين بلفظهما المعروف أو يكفي الإتيان بغير المعروف مما يدل على الإيمان.

وذكر فيه قولين للعلماء فقليل إنه يشترط اللفظ المعروف ولا يكفي غيره والراجح أنه لا يشترط خصوص اللفظ المعروف وأن الإيمان ينعقد بغير اللفظ المعروف^(١٢).

(١٠) أى من أهل السنة، انظر شرح الطحاوية.

(١١) انظر كتاب الإيمان.

(١٢) راجع ما أشرنا إليه سابقاً، وهي مسألة محل خلاف، وما دامت المسألة قد دخلت دائرة الخلاف فهذا يعنى العدم الجزم ببطالان المرجح.

وعبارة البرزنجى ثم ليعلم أن المراد بالنطق بالشهادتين ليس النطق بخصوصهما خلافا للغزالي كما ذكر ذلك النووى فى الروضة ونسبه إلى الجميع فنقل عن الحليمى فى منهاجه أنه لا خلاف أن الإيمان ينعقد بغير القول المعروف وهو كلمة لا إله إلا الله.

حتى لو قال لا إله غير الله أو ماعدا الله أو سوى الله أو من إله إلا الله أو لا إله إلا الرحمن أو لا رحمن إلا الله أو إلا البارى فهو كقوله لا إله إلا الله.

وكذا لو قال محمد نبي الله أو مبعوثه أو أحمد أو الماحى أو غير ذلك أو ما يؤدى ذلك باللغات العجمية صح إسلامه وحكم بكونه مسلما.

الباب الثاني: أبو طالب والنبى (ص)

ثم قال البرزنجي إذا علمت ذلك فنقول تواترت الأخبار أن أبا طالب كان يحب النبي (ص) ويجوطة وينصره ويعينه على تبليغ دينه ويصدقّه فيما يقوله ويأمر أولاده كجعفر وعلي باتباعه ونصره وكان يمدحه في أشعاره بما يدل على تصديقه وكان ينطق بأن دينه حق فمن كلامه المعروف:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً

ومن شعره قوله:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً رسولاً كموسى صبح ذلك في الكتب^(١)

وقد أوصى قريشاً باتباعه وقال والله لكأنى به وقد غلب ودانت له العرب والعجم فلا يسبقنكم إليه سائر العرب فيكونوا أسعد به منكم.

وهذه الوصية تكررت منه مراراً تارة يوصي بها بنى هاشم وتارة يوصي بها كافة قريش.

وأوصى قريشاً عند قرب موته بوصية طويلة ولفظها: يامعشر قريش أنتم صفوة

(١) البيت الأول والثاني وردا في سيرة ابن إسحاق مع اختلاف يسير ولم يورد ابن هشام في شرحه لسيرة ابن إسحاق البيت الأول. ونص البيت الأول هو:

وعرضت ديناً قد عرفت أنه خير أديان البرية ديناً

ونص البيت الثاني عند ابن إسحاق وابن هشام هو:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتب

الله من خلقه وانتم قلب العرب وفيكم السيد المطاع والمقدام الشجاع والواسع الباع واعلموا انكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا إلا احرزتموه ولا شرفا إلا ادركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حريكم الرب.

وانى اوصيكم بتعظيم هذه البنية - يعنى الكعبة - فإن فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطاة وصلوا ارحامكم فإن صلة الرحم منساة اى فسحة فى الأجل وزيادة فى العدد واتركوا بغى والعقوق فبينهما هلكت القرون قبلكم واجيبوا داعى الله واعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث واداء الأمانة فإن فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام.

واوصيكم بمحمد خيرا فإنه الأمين فى قريش والصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما اوصيتكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنان.

وايم الله كأنى انظر إلى صغاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء ريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفواؤها أربابا وإذا أعظمهم عليه احوجهم إليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده. قد محضته العرب ودادها وأعصته قيادها.

يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة.

وفى رواية دونكم وابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد ولا يأخذ أحد بهدية إلا سعد ولو كان لنفسى مدة ولأجلى تأخير لكففت عنه

الهزاهز ولدفعت عنه الدواهى^(٢).

فانظر واعتبر أيها الواقف على هذه الوصية كيف وقع جميع ما قاله ابو طالب بطريق الفراسة الصادقة الدالة على تصديقه النبى.

وقال لهم مرة لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم امره فاطيعوه
ترشدوا.

وقد نوه ابو طالب بنبوة النبى قبل ان يبعث لأنه ذكر ذلك فى الخطبة التى خطب
بها حين تزوج (ص) بخديجة رضى الله عنها.

فقال فى خطبته تلك الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل
وضئضىء معد وعنصر مضر وجعلنا حصنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوبا
وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن
برجل إلا رجح شرفا ونبلا وفضلا وعقلا وهو والله بعد هذا له نبا عظيم وخطر جسم
وكان هذا قبل بعثته (ص) بخمسة عشرة سنة^(٣).

فانظر كيف نفرس فيه ابو طالب كل خير قبل بعثته فكان الأمر كما قال وذلك من
أقوى الدلائل على إيمانه وتصديقه بالنبى حين بعثه الله تعالى.

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقى وانظر دلائل ابى نعيم.

(٣) ورد نص هذه الخطبة فى صفة الصفوة لابن الجوزى ج ١/ ٢٩. ط بيروت من أول الكلام حتى
قوله لا يوزن. وبقية الكلام مختلف وليس فيه إشارة إلى نبوة محمد (ص) ووردت بكاملها فى
هامش باب تزويج خديجة . سيرة ابن هشام تحقيق محبى الدين عبد الحميد.

وروى البخاري في تاريخه عن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه أن قریشا قالت لأبي طالب رضي الله عنه إن ابن أخيك هذا قد آذانا.

فقال للنبي (ص) إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم.

فقال لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمة حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله (ص) باكدا فقال أبو طالب يا ابن أخي قل ما أحببت فوالله ، سلمك لهم أبدا.

وقال لقریش ، سعة ما كذب ابن أخي قط^(٤).

فانظر إلى نفي الكذب عنه بالحلف بحضور خصمائه قریش وقد جاؤه يشكون إليه.

وانظر إلى قوله زعموا أنك تؤذيهم حيث لم يطلق القول بأنه يؤذيهم بل جعل ذلك أذى باعتبار زعمهم وأنهم يزعمون أنه من قبل نفسه وليس من عند الله فقال إن كان أذى أي كما زعموا فانتته عن أذاهم فلما قال له إنه من عند الله ييقين كما أنكم على يقين من رؤية هذه الشمس صدقه ونفى عنه الكذب وقال الله ما كذب ابن أخي قط.

وقد روى أبو طالب أحاديث عن النبي وكلمات تدل على إيمانه وامتلاء قلبه من التوحيد.

(٤) انظر سيرة ابن هشام ج ١. وتاريخ الطبري ج ١.

فمن ذلك ما رواه الخطيب البغدادي بإسناده إلى جعفر الصادق عن أبيه محمداً الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب قال سمعت أبا طالب يقول حدثني محمداً ابن أخي وكان والله صدوقاً قال، قلت له بهم بعثت يا محمداً قال، بصلة الأرحام وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة^(٥).

والمراد من الصلاة ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها كانتا في أوائل الإسلام أو المراد صلاة التهجد فإنه (ص) كان يضعه من أول بعثته.

ولا يصح حمل الصلاة على الصلوات الخمس لأنها إنما فرضت ليلة الإسراء وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو سنة ونصف وكان موت أبي طالب في النصف من شوال في السنة العاشرة من البعثة وعمره بضع وثمانون سنة.

والمراد من الزكاة مطلق الصدقة وإكرام الضيف وحمل الكل ونحو ذلك من الصدقات المالية.

ومثل هذه الأشياء كان أبو طالب أسها ومعدنها.

وليس المراد الزكاة الشرعية المعروفة ولا زكاة الفطر لأن ذلك إنما فرض بعد الهجرة في المدينة وكل ذلك كان بعد موت أبي طالب.

وأخرج الخطيب أيضاً بسنده إلى أبي رافع مولى أم هانئ بنت أبي طالب أنه سمع أبا طالب يقول حدثني محمداً ابن أخي أن الله أمره بصلة الأرحام وأن يعبد الله لا يعبد معه أحداً. قال ومحمد عندي الصدوق الأمين.

(٥) انظر تاريخ بغداد وهذا الإسناد خاص بآل البيت.

وقال ايضا سمعت ابن اخي يقول أشكر ترزق ولا تكفر تعذب.

وأخرج ابن سعد والخطيب وابن عساكر عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال كنت بذى المجاز مع ابن أخى فأدركنى العطش فشكوت إليه ولا أرى عنده شيئاً فقال فثنى وركه ثم نزل فأهوى بعقبه إلى الأرض فإذا بالماء فقال اشرب يا عم فشربت^(٦).

قال البرزنجي فلو لم يكن موحداً لما رزقه الله الماء الذي نبع للنبي (ص) الذي هو افضل من ماء الكوثر ومن ماء زمزم.

وقال، الذي يرى مثل هذه المعجزة كيف لا يقع التصديق في قلبه وقد كثرت القرائن الدالة على التصديق.

وأخرج ابن عدي عن أنس بن مالك قال مرض أبو طالب فعاده النبي فقال يا ابن أخى ادع الله أن يعافيني فقال اللهم اشف عمي فقام كأنما نشط من عقال.

وأخرج أبو نعيم من طريق أبي بكر بن عبد الله بن الجهم عن أبيه عن جده قال سمعت أبا طالب يحدث عن عبدالمطلب إنه رأى في منامه أن شجرة نبئت من ظهره قد نال رأسها السماء وضربت أغصانها المشرق والمغرب قال وما رأيت نوراً أزهى منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً.

ورأيت العرب والعجم ساجدين وهي تزداد كل ساعة عظمتاً ونوراً وارتفاعاً ساعة تخفى وساعة تظهر.

(٦) صفة الصفوة، ج ١ / ٤٠ وطبقات ابن سعد، ج ١ / باب ذكر علامات النبوة في رسول الله قبل أن يوحى إليه. وانظر تاريخ بغداد وتاريخ دمشق.

ورأيت رهطاً من قريش قد تعلقوا بأغصانها وقوماً من قريش يريدون قطعها فإذا دنوا منها أخذهم شاب لم أرقط أحسن منه وجهاً ولا أطيب ريحاً فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم فرفعت يدي لأتناول نصيباً فلم أنل.

فقلت لمن النصيب؟ فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها.

فانتبهت مذعوراً فأتيت كاهنة لقريش فأخبرتها فرأيت وجه الكاهنة قد تغير. ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب وتدين له الناس.

فقال عبدالمطلب لأبى طالب لعلك أن تكون هو المولود فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبى (ص) قد بحث ويقول كانت الشجرة وأبى القاسم الأمين.

فيقال له الا تؤمن فيقول السبى والعار^(٧).

وإنما كان يقول ذلك تعمية وتسترا وإظهاراً لقريش إنه على دينهم ليتم له نصرة النبى وحمايته لأنهم حيث علموا أنه معهم وعلى دينهم يقبلون حمايته بخلاف ما لو أظهر لهم مخالفتهم واتباعه النبى (ص) فهذا هو العذر له فى قوله السبى والعار وفى بقائه ظاهراً على دينهم.

وأخرج ابن سعيد عن عبدالله بن ثعلب بن صغير العذرى إن أبى طالب لما حضرته الوفاة دعا بنى عبدالمطلب فقال لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاتبعوه وأعينوه ترشدوا.

قال البرزنجى قلت بعيد جدا أن يعرف أن الرشاد فى اتباعه ويأمر غيره ثم يتركه هو.

وروى الحافظ ابن حجر فى الإصابة عن على رضى الله عنه أنه لما أسلم قال له أبو طالب الزم ابن عمك.

وأخرج أيضا عن عمران بن حصين إن أبا طالب قال لابنه جعفر صل جناح ابن عمك فصى جعفر مع النبى (ص) كما صلى على رضى الله عنه^(٨).

قال البرزنجى: فلولا إنه مصدق بدينه لما رضى لإبنيه أن يكونا معه وأن يصليا معه بل ولا كان يامرهما بالصلاة فإن عداوة الدين أشد العداوات كما قيل:

كل العداوات قد ترجى إمانتها إلا عداوة من عاداك فى الدين

فهذه الأخبار كلها صريحة فى أن قلبه طافح ومعتلىء بالإيمان (ص).

ومن ذلك أيضا إن أبا طالب سافر إلى الشام وكان عمر النبى (ص) إذ ذاك تسع سنين فصحبه معه فرآه بحيرا الراهب - بفتح الباء - ورأى فيه علامات النبوة فأخبر عمه أبا طالب وأمره بإرجاعه إلى مكة مخافة عليه من اليهود فردّه إلى مكة^(٩).

ومن ذلك أيضا ما شاهده أبو طالب فى زمن عبدالمطلب من استسقاءه بالنبى (ص).

(٨) انظر ترجمة الإمام على فى ج ٢. وانظر ترجمة جعفر فى ج ١ ترجمة رقم ١١٦٦.

(٩) انظر قصة بحيرا الراهب فى سيرة ابن هشام ج ١ وطبقات ابن سعد ج ١ وكتب التاريخ.

فقد روى الخطابي أن قريشًا تتابعَت عليهم سنو جديب في حياة عبدالمطلب فارتقى هو ومن حضر معه من قريش أبا قبيس بعد أن استلموا ركن البيت فقام عبدالمطلب واعتضد النبي (ص) فرقه على عاتقه وهو يومئذ غلام ثم دعا فسقوا في الحال.

واستسقى به أبو طالب أيضًا بعد وفاة عبدالمطلب حين أصاب أهل مكة قحط شديد فأتوا أبا طالب فقالوا له قد أقحط الوادي وأجذب العيال فلهم فاستسقى. فخرج أبو طالب ومعه النبي (ص) وهو غلام فأخذ أبو طالب فألقاه بالكعبة ولأذ الغلام أي أشار بإصبعه إلى السماء كالملتجئ وما في السماء قرعة فأقبل السحاب من ههنا وههنا وأمطرت السماء وأغدق الوادي وكثر قطره وأخصب النادي والبادي.

وفي هذه يقول أبو طالب بعد بعثه النبي يذكر قريشًا يده (ص) وبركته عليهم من

صغره:

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامي عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل^(١٠)

فهذه الآثار والأخبار كلها صريحة في أن أبا طالب رأى من الآيات والمعجزات وخوارق العادات التي ظهرت للنبي (ص) ما أوجب أن يصدق به ويؤمن به إيمانًا لا شك فيه ولا تردد.

ورأى أبو طالب أيضًا للنبي (ص) آيات وخوارق عادات في صغره غير هذه وذلك أن أبا طالب كان قليل المال وكان ذا عيال فكان عياله إذا أكلوا وحدهم جميعًا أو فرادى

(١٠) البيت الأول ذكره ابن هشام بعد حديث استسقاء رسول الله لأهل المدينة والبيتين ذكره قبل ذلك في قصيدة طويلة لأبي طالب مع اختلاف كلمة رحمه بدل نعمة في البيت الثاني.

ثم يشبعوا وإذا أكل معهم النبي (ص) شبعوا فكان أبو طالب إذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول لهم انتم كما انتم حتى ياتي ابني فيأتي رسول الله فيأكل معهم فيشبعون فيفضلون من طعامهم وإذا كان طعامهم لبنا شرب رسول الله أولهم ثم تناول العيال القدرج من الخشب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم أي جميعهم من القدرج وإن كان أحدهم وحده يشرب قدحًا واحدًا وحده فيقول أبو طالب للنبي (ص) إنك لمبارك^(١١).

وأخرج أبو نعيم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان أبو طالب يحب النبي (ص) حبًا شديدًا لا يحب أولاده مثله ولذا لا ينأى إلا جنبه ويخرجه معه حين يخرج.

وكان النبي (ص) يحب أيضًا أبا طالب حبًا شديدًا ولا يأوى إلا إليه ولا يطمئن قلبه إلا باتصاله به وكان (ص) يقول لما مات أبو طالب: نالت قريش مني من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب.

وقال أيضًا: ما نالت قريش مني شيئًا أكره حتى مات أبو طالب.

ولما رأى قريشًا تهجموا على أذيتة قال يا عم ما أسرع ما وجدت بعدك.

ومات أبو طالب وخديجة في عام واحد فكان رسول الله (ص) يسمى ذلك العام عام الحزن^(١٢).

(١١) انظر طبقات ابن سعد .

(١٢) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ سنة وفاة أبي طالب عام الحزن.

ولما ظهر أمر النبى (ص) وصار يدخل فى دينه كثير من الناس اجتمع كفار قريش على قتل رسول الله .

وقالوا قد افسد علينا ابناءنا ونساءنا .

وقالوا لبنى هاشم خذوا هذه دية مضاعفة ويقتله رجل من قريش وتريحونا وتريحوا انفسكم .

فابى بنو هاشم . فعند ذلك اجتمع راي قريش على منابذة بنى هاشم وبنى المطالب وإخراجهم إلى شعب ابى طالب والتضييق عليهم بالمنع من حضور الأسواق وأن لا يناكحوهم وأن لا يقبلوا لهم صلحا أبداً ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموا إليهم رسول الله للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى الكعبة^(١٢) .

وقيل إن ابا طالب لما رأى اجتماع قريش على قتل النبى (ص) جمع بنى هاشم وبنى المطالب مؤمنهم وكافرهم وأمرهم أن يدخلوا برسول الله الشعب ويمنعوه ففعلوا ولم يتخلص عنهم إلا ابو لهب .

فلما علمت قريش ذلك اجمع رايهم على أن يكتبوا عهوداً ومواثيق على أن لا يجالسوهم ولا يناكحوهم ولا يقبلوا لهم صلحا أبداً وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى الكعبة .

(١٢) انظر قصة حصار قريش لبنى هاشم فى الشعب وقصة الصحيفة فى سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ .

ومكث بدو هاشم فى الشعب ثلاث سنين وقيل سنتين وأصابهم ضيق شديد حتى
أكلوا ورق الشجر يتقوتون به .

وكان أبو طالب فى تلك المدة يتحفظ غاية التحفظ على النبى (ص) حتى أنه إذا
جاء الليل وأراد النبى أن ينام يفرش له فراش فى الموضع الذى يعتاد أن ينام فيه
فيضطجع فيه النبى ثم يقيمه عمه عن فراشه المعتاد ويأمر بعض بنيه أن ينام فى ذلك
الموضع ويفرش للنبي فى موضع آخر غير معتاد نومه فيدعه ينام فيه كل ذلك مبالغة
فى حفظه وحراسته .

والذى كتب الصحيفة لقريش شلت يده وأوحى الله تعالى للنبي (ص) أنه سبحانه
وتعالى سلط الأرضة على صحيفتهم التى كتبوها وعلقوها فى الكعبة فأكلت ما فيها من
عهد وميثاق وقطيعة رحم ولم يبق فى الصحيفة غير اسم الله عز وجل فإنهم كانوا
يكتبون باسمك اللهم .

فأخبر النبى عمه أبا طالب بذلك فخرج من الشعب حتى أتى المسجد فاجتمع
عليه قريش وظنوا أنه يريد أن يسلمهم النبى ليقتلوه .

فقالوا له توبخا له ولن معه قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى
أنفسكم .

فقال أبو طالب إنما أتيتكم فى أمر نصف بيننا وبينكم - أى أمر وسط - لا حيف
فيه علينا ولا عليكم إن ابن أخى أخبرنى ولم يكذبنى قط أن الله تعالى قد سلط على
صحيفتكم التى كتبتم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم

وبقى بها كل ما ذكر به الله تعالى فإن كان الحديث كما يقول فافيقوا - في رواية -
نزعتكم أي رجعتكم عن سوء رأيكم وإن لم ترجعوا فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند
آخرنا.

وإن كان الذي يقول باطلا دفعنا إليكم صاحبنا فقتلتم أو استحييتهم.

فقالوا قد رضينا بالذي تقول.

وفي رواية أنصفتنا فأخرجوا الصحيفة فوجدوا الأمر كما أخبر الصادق
المصدوق (ص).

فلما رأت قريش صدق ما جاء به أبو طالب قالوا أي قال أكثرهم هذا سحر ابن
أخيك وزادهم ذلك بغيا وعدوانا.

وبعضهم ندم وقال هذا بغى منا على إخواننا وظلم.

فقال لهم أبو طالب بعد أن وجد الأمر كما أخبر (ص) يا معشر قريش علام
نحصر ونحبس وقد بان الأمر وتبين إنكم أولى بالظلم والإساءة والقطيعة.

ودخل أبو طالب ومن معه تحت أستار الكعبة وقالوا اللهم انصرنا على من ظلمنا
وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرفوا إلى الشعب.

وعند ذلك مشى طائفة منهم في نقض الصحيفة وإبطال ذلك الحصار^(١٤).

(١٤) انظر طبقات ابن سعد ج ١ / باب ذكر حصر قريش رسول الله (ص) وبني هاشم في الشعب.
وانظر سيرة ابن هشام ج ١ / باب خبر الصحيفة وباب حديث نقض الصحيفة.

والكلام على ذلك طویل وإنما القصد بیان أن أبا طالب أطلعه الله على كثير مما خص الله نبيه به من الآيات والمعجزات وخوارق العادات من مبتدأ أمره (ص) وهو صغير إلى منتهاه وباطلاعه على تلك الآيات والمعجزات صار قلبه مشحوناً ممتلئاً بالإيمان والتصديق بالنبي (ص) إيماناً قطعياً لا شك فيه ولا شبهة ولم يظهر ذلك الإيمان ويتابعه ظاهراً مبالغة في حفظ النبي وحمايته وصيانته عما يؤذيه فكان يظهر لقريش أنه على ملتهم ودينهم فلا يستطيعون مخالفته.

فمن عرف ذلك وقف على باطن الأمر وحقيقته. ولم يشك في إيمان أبي طالب فكان في نصرة النبي يخادع قريشاً مخادعة الحرب حتى تم أمر النبي (ص) وفشت دعوته.

الباب الثالث: شعر أبي طالب

وقد صرح بالتصديق بنبوۃ النبى (ص) فى كثير من اشعاره وكان فى بعض تلك
الأشعار يأتى بالفاظ توهم على قریش انه معهم وانه على ملتهم كل ذلك مخادعة لهم
للمبالغة فى حفظ النبى وحمایته فمن اشعاره التى دلت على تصدیقه بنبوۃ النبى (ص)
ما تقدم من قوله:

الم تعلموا أنا وجدنا محمداً رسولاً كموسى صح ذلك فى الكتب

وهذا البيت من قصيدة طويلة لأبى طالب قالها فى زمن محاصرة قریش لهم فى
الشعب وهى قصيدة طويلة بليغة غراء تدل على غاية محبته للنبى وعلى التصديق
بنبوته وشدة حمایته له والذب عنه ومطالعها:

الا بلغا عنى على ذات بيننا لؤيسا وخصا من لؤى بنى كعب
الم تعلموا أنا وجدنا محمداً رسولاً كموسى صح ذلك فى الكتب

ويروى نبياً كموسى خط ذلك فى الكتب.

وإن عليه فى العباد مودة ولا خير ممن خصه الله بالحب

ومنها:

فلسنا ورب البيت نسلم أحمداً لعزاء من عض الزمان ولا كرب^(١)

ومن شعره قوله:

(١) انظر ابن هشام ج/١ باب خبر الصحيفة.

ومثق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

هكذا نسب الحافظ بن حجر فى الإصابة هذا البيت لأبى طالب وقيل إنه لحسان
ابن ثابت الأنصارى.

قال البرزنجى: ولا مانع أن يكون لأبى طالب وأخذه حسان فضمنه شعره.

واجتمع مرة كفار قريش وجاءوا أبا طالب ومعهم عمارة بن الوليد بن المغيرة وكان
من أحسن فتيان قريش وقالوا لأبى طالب خذ هذا بدل محمد يكون كالأبن لك وأعطينا
محمدنا نقتله.

فقال ما أنصفتهمونى يا معشر قريش آخذ ابنكم أربييه وأعطيكم ابنى تقتلونه ثم
قال،

| | |
|----------------------------|---|
| والله لن يصلوا إليك بجمعهم | حتى أوسد فى التراب دفينا |
| فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة | وابشر بذاك وقر منك عيونا |
| ودعوتنى وعلمت أنك صادق | ولقد صدقت وكنت ثم أمينا |
| ولقد علمت بأن دين محمد | من خير أديان البرية دينا ^(٢) |

وزاد بعضهم بعد هذا،

(٢) انظر النص فى سيرة ابن هشام دون الآيات المذكورة باب الجهر بالدعوة ج/ ١.
ووردت الآيات فى نص ابن إسحاق باب ما نال أصحاب رسول الله (ص) من البلاء والجهد.
مع اختلاف فى بعض الكلمات.

لولا المسبة أو حذار ملامة لوجدتني سمحا بذالك مبينا^(٣)

فقل إن البيت موضوع ادخلوه في شعر أبي طالب وليس من كلامه وقيل أنه من كلامه وأتى به للتحمية على قريش ليؤهم عليهم أنه معهم وعلى ملتهم ولم يتابع محمداً ليقبلوا حمايته ويمثلوا أمره.

ومن شعره قوله في النبي (ص)،

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهالك من آل هاشم فهم عنده في رحمة وفواضل

وهذان البيتان من قصيدة طويلة لأبي طالب قيل إنها ثمانون بيتاً افرد لها بعض العلماء شرحاً مستقلاً وقيل إنها تزيد على مائة بيت قالها أبو طالب حين حصر قريش لهم في الشعب وأخبر قريشاً أنه غير مسلم محمداً رسول الله (ص) لأحد أبدأ حتى يهلك دونه ومدحه فيها مدحاً بليغاً وأتى فيها بكلام صريح في أنه مصدق بنبوته ومؤمن به فمنها البيتان السابقان ومنها قوله،

لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد واحببته حب المحب المواصل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعزى لقول الأباطل
فمن مثله في الناس أي مؤمل إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عاقل غير طائش يوالى إلهاً ليس عنه بغافل
فأصبح فينا أحمد في أرومة تقصر عنها سورة المتطاول
حدثت بنفس دونه رحمته ودافعت عنه بالذرا والكلال^(٤)

(٣) هذه الزيادة وردت في نص ابن إسحاق.

(٤) انظر سيرة ابن هشام وهذه الأبيات متقاة من قصيدة طويلة لأبي طالب.

وفى القصيدة أبيات كثيرة مثل هذه فى المعنى والبلاغة.

قال ابن كثير أن هذه القصيدة بليغة جدا لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه
وهى أفحل من المعلقات السبع وأبلغ فى تأدية المعنى^(٥).

وأخرج البيهقي عن انس بن مالك قال جاء اعرابي إلى النبي (ص) وشكا الجذب
والقحط وأنشد أبياتا فقام رسول الله (ص) حتى صعد المنبر فرفع يديه إلى السماء
ودعا فما رد يديه حتى التقت السماء بأبرقها ثم بعد ذلك جاؤا يضحجون من كثرة المطر
خوف الغرق فقال اللهم حوالينا ولا علينا وضحك (ص) حتى بدت نواجذه ثم قال لله در
ابن طالب لو كان حينا لقرت عيناه. من ينشدنا قوله؟

فقال على رضى الله عنه وكرم وجهه كأنك تريد قوله،

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال (ص) أجل^(٦).

قال البرزنجي، فقول النبي (ص) لله در أى طالب يشهد له بأنه لو رأى النبي وهو
يستسقى على المنبر لسره ذلك ولقرت عيناه فهذا من النبي شهادة لأبى طالب بعد موته
أنه كان يفرح بكلمات النبي وتقر عينه بها وما ذلك إلا لسر وقر فى قلبه من تصديقه
بنبوته وعلمه بكمالاته.

(٥) البداية والنهاية، ج ١.

(٦) انظر دلائل النبوة وجاء نص هذا الحديث فى سيرة ابن هشام ايضا غير انه لم يشر إلى ذكر
على فيه .

ثم قال البرزنجي، فتأمل هذه المعاني الدقيقة ولا تكن ممن استحققرها لحقارة
قائلها وفوق كل ذي علم عليم.

ومن غرر مدائح أبي طالب للنبي (ص) الدالة على تصديقه إياه قوله،

إذا أجمعت يوماً قريش لمؤخر فعبد مناف سرها وصميمها
فإن حصلت أنساب عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوماً فإن محمداً هو المصطفى من سرها وكريمها

وهذا موافق لقوله (ص) واصطفاني من بني هاشم^(٧).

قال البرزنجي، وهذا نطق بالوحي قبل صدوره من النبي فإنه أخبر بذلك بعد
مدة من قول أبي طالب.

والحديث وحي كالتقرآن ثبت بهذه الأخبار والأشعار أن أبا طالب كان مصدقاً
بنبوة النبي وذلك كاف في نجاته.

قال القرافي في شرح التنقيح عند قول أبي طالب،

وقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعزى لقول الأباطل

(٧) جاءت هذه الأبيات في سيرة ابن هشام. أما حديث الاصطفاء فنصه،
إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني
هاشم واصطفاني من بني هاشم. رواه مسلم كتاب الفضائل. باب فضل نسب النبي (ص).

إن هذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان وإن أبى طالب ممن آمن بظاهره وباطنه
غير أنه كفر ظاهراً ولم يدعن للفروع.

وكان يقول إنى لأعلم أن ما يقول ابن أخى حق ولولا إنى أخاف أن تعيرنى نساء
قريش لاتبعته أهـ.

وإجيب كما مر بأنه لم يدعن ظاهراً خوفاً من أن قريشاً لا تقبل حمايته.

وقوله لولا إنى أخاف أن تعيرنى نساء قريش إنما قال ذلك تعمية على قريش
ليوهم عليهم أنه على دينهم وهذا عذر صحيح بلغ به تمكين النبى (ص) فى نبوته
والدعوة إلى ربه.

وجاء فى مسلم أنه يقال للنبى (ص) يوم القيامة أخرج من كان فى قلبه مثقال
حبة من خردل من إيمان^(٨).

فهذا الحديث وغيره مما يماثله من الأحاديث كلها تدل بظاهرها على أن النطق
بالشهادتين ليس شرطاً فى النجاة بل ولا دخل له فيها وإلا لما كان قائلها نفاقاً فى
الدرك الأسفل من النار.

(٨) مسلم كتاب الإيمان باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار وليس هذا نصه. فقد ورد
كما يلى: يدخل الله أهل الجنة الجنة يدخل من يشاء برحمته ويدخل أهل النار النار ثم يقول:
انظروا من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه.

الباب الرابع: أبو طالب والشفاعة

قال البرزنجى، وهذا الذى اخترناه من كون نجاة أبى طالب لما كان عنده من التصديق الكافى فى النجاة فى الآخرة هو طريق المتكلمين من أئمتنا الأشاعرة وهو ما دلت عليه أحاديث الشفاعة وأحاديث الشفاعة كثيرة وكلها فيها التصريح بأنها لا تنال مشربكا وقد نالت الشفاعة أبا طالب كما سيأتى بيانه فدل ذلك على عدم إشراكه.

ثم ذكر البرزنجى الدلائل التى تمسك بها القائلون بعدم نجاته وقلب استدلالهم بها على عدم النجاة وجعلها دالة على النجاة.

فمن ذلك ما رواه البخارى ومسلم عن العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه عم النبى (ص) أنه قال لرسول الله (ص) أن أبا طالب كان يحوطك أى يحفظك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك.

قال نعم وجدته فى غمرات من النار.

أى مشرفا عليها كما سيأتى تفسيره.

وفى رواية، وكان فى غمرات من النار أى مشرفا عليها فأخرجته إلى ضحضاح ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار^(١).

والضحضاح مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين فاستعير للنار.

(١) البخارى فى كتاب مناقب الأنصار باب قصة أبى طالب. ومسلم كتاب الإيمان باب شفاعة النبى (ص) لأبى طالب.

وفى رواية للبخارى ومسلم أيضاً عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه (ص) ذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تناله شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منها دماغه^(٢).

وروى مسلم وغيره عنه (ص) أن أبا طالب أهون أهل النار عذاباً^(٣).

قال القائلون بعدم نجاته أن هذه الأحاديث الصحيحة دالة على كضره وعلى أنه فى النار فلا يمكن القول بنجاته لأن النبى (ص) أخبر بحاله فيما بينه وبين الله فى الدار الآخرة فدل أنه لم يكن مصدقاً بقلبه وأما ما صدر منه من نصرة النبى (ص) فإنما كان من باب حمية العرب والأنفة من أن يغتال ابنه من بين يديه وقد كلفه بذلك عبدالمطلب.

ثم قال البرزنجى: قلت الجواب إن نفس الأحاديث التى ذكرت تدل على نجاته وذلك أن الله تعالى قد أخبر عن الكفار بأنهم لا يخفف عنهم من عذابها وبأنهم لا يفتر عنهم وبأنهم ما هم منها بمخرجين وبأنهم لا تنفعهم شفاعاة الشافعين إلى غير ذلك.

وقد ثبت فى الأثر الصحيح أن الجحيم هى الطبقة التى يعذب فيها عصاة المؤمنين ثم يخرجون منها وهى أعلى طبقات النار وعصاة المؤمنين عذابهم أخف من عذاب الكفار.

(٢) البخارى كتاب مناقب الأنصار. ومسلم كتاب الإيمان وانظر طبقات ابن سعد ج ١ باب ذكر أبى طالب.

(٣) كتاب الإيمان باب أهون أهل النار عذاباً.

وحيث صح إن أبا طالب أهون أهل النار عذاباً على الإطلاق فيكون أهون عذاباً حتى من عصاة المؤمنين ولو لم نقل بذلك لما صدق قوله (ص)، إنه أهون أهل النار عذاباً.

ولو فرض أنه كافر يخلد في النار وهو أهون أهل النار عذاباً لكان عذاب الكفر أهون من عذاب بعض المؤمنين العصاة وهذا لا يقول به أحد.

فثبت أن عذابه أهون من عصاة المؤمنين.

وثبت أنه تنفعه شفاععة النبي (ص) ولهذا خفف عنه العذاب وجعل أخف أهل النار عذاباً فأخرج من طمطمم النار وغمراتها أي أبعد عما كان مشرقاً على دخوله لولا النبي (ص) إلى ضحضحاح منها والبس نعلين من النار فصارت لا تغلظ ظهور رجله وهذه هي أعلى النار لا أعلى منها بحيث أن النار ما مسست إلا تحت قدميه وليس ذلك إلا في الطبقة الفوقانية التي مكان عصاة هذه الأمة.

وقد صحت الأحاديث بأنهم يخرجون منها بحيث لا يبقى فيها من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان^(٤).

وقد صح أيضاً أن هذه الطبقة بعدما يخرج منها عصاة هذه الأمة تنطفئ ناراها وتصفق ألريح أبوابها وينبت فيها الجرجير ولا يجوز أن ينبت فيها الجرجير وفيها نار تمس تحت القدم فوجب أن يخرج منها أبو طالب بهذه الأدلة وكلها صحيحة.

(٤) انظر مسلم كتاب الإيمان باب آخر أهل النار خروجاً. والبخاري كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار وكتاب التوحيد وسنن البيهقي ومسند أحمد وانظر أبواب الشفاعة في كتب العقائد.

ثم قال البرزنجى : ونقول ورد فى الصحيح أنه (ص) قال شفاعتى لأهل الكبائر^(٥).

وفى لفظه لمن لم يشرك بالله شيئاً. واللام للاختصاص مثل الحمد لله.

ومعناه شفاعتى مختصة بأهل الكبائر وحيث كانت مختصة بأهل الكبائر فهى لا تكون لمشارك يعنى أن الشفاعة التى لغفران الذنوب تختص بأهل الكبائر فإن الصغائر يكفرها اجتناب الكبائر.

والكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين لأن الله لا يغفر أن يشرك به وإذا لم يغفر لم يدخل تحت الشفاعة لأن كل عذاب فى مقابلة ذنب ما لم يغفر ذلك الذنب لا يرفع عنه العذاب الذى فى مقابلته وإذا لم يغفر الشرك صدق أن لا تنفعه شفاعة الشافعين.

والشافعين جمع محلى باللام فيفيد العموم لجميع الشافعين فتدخل شفاعته (ص) فإنها لا تنفع الكافرين كما لا تنفعهم شفاعة غيره.

وأبو طالب قد نفعته شفاعة النبى (ص) فخفف عنه العذاب وأخرج من غمرات النار إلى ضحضاح النار بشفاعة النبى (ص) فوجب أن يكون من أهل الكبائر ما عدا الكفر ووجب أن يخرج من النار لأنه صار من عصاة الأمة الذين هم فى الطبقة العليا وكل من كان كذلك يخرج ويدخل الجنة وهذا معنى قوله (ص) أرجو له من ربى كل خير.

(٥) رواه أحمد والبيهقى، والبخارى فى كتاب التوحيد.

وهذا الحديث أخرجه ابن سعد وابن عساکر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه
سأل رسول الله (ص) ما ترجو لأبى طالب قال كل الخير أرجو من ربى^(٦).

ولا يرجى كل الخير إلا المؤمن ولا يجوز أنه يراد بهذا ما حصل من تخفيف
العذاب فإنه ليس خيراً فضلاً عن أن يكون كل الخير وإنما هو تخفيف الشر وبعض
الشر أهون من بعض والخير كل الخير دخول الجنة.

وأخرج تمام الرازى فى فوائده بسند يعتد به فى المناقب عن ابن عمر قال. قال
رسول الله (ص) إذا كان يوم القيامة شفعت لأبى وأمى وعمى أبى طالب وأخ لى كان فى
الجاهلية.

أورده المحب الطبرى فى كتابه ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى.

وأخرجه أبو نعيم وصرح بأن الأخ كان من الرضاع.

قال البرزنجى، إن النار اسم للطبقات كلها وقد أخبر (ص) أن أبى طالب أخف
أهل النار عذاباً على الإطلاق وبين وجه ذلك بأن النار لا تمس إلا تحت قدميه.

فلا يجوز أن يكون كافراً لأن فى المؤمنين من صبح الأخبار عنهم فى ذنب واحد
من الغلول أو العقوق أو تعذيب الهرة أو التبخر بعذاب أكبر من هذا.

فقد جاء فىمن غل من الغنيمة شملة صغيرة أنها تلتهب عليه ناراً.

(٦) انظر طبقات ابن سعد باب ذكر أبى طالب وتاريخ دمشق لابن عساکر.

وفيمن غل بريدة من صوف انه جعل له درع مثلها من نار وان من جاء بريثا من الغلول دخل الجنة.

وجاء أن عقوق الوالدين من اكبر الكبائر^(٧).

وذكر فى بعض الأحاديث بعد الشرك بالله وفى القرآن «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا» وصح ثلاثة لا ينفع معهن عمل الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف^(٨).

وصح ايضًا لا ينظر الله يوم القيامة لعاق والديه.

وصحت أحاديث كثيرة فى شدة عذاب العاق لوالديه وأنه آخر من يخرج من النار من العصاة.

وصح دخلت امرأة النار فى هرة.

أى بسبب حبسها هرة.

وصحت أحاديث كثيرة فى النهى عن التبختير وشدة العذاب لمن تبختروا.

(٧) انظر البخارى ومسلم كتاب الأدب والبر والأنبياء واللباس والجهاد وكتب السنن الأخرى، وروى مسلم عن الرسول (ص) قوله، اجتنبوا الموبقات السبع، الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات. كتاب الإيمان باب بيان الكبائر.

(٨) روى مسلم فى كتاب الإيمان عن ارسول قوله، «ألا أنبأكم بأكبر الكبائر ثلاثا، الإشراف بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور. باب بيان الكبائر.

ولو كان أبو طالب كافراً! لكان عذاب الكفر دون عذاب الكبائر مع أن عذاب الكفر فوق عذاب الكبائر قطعاً وهذا لاشك فيه فإن الكفر أكبر الكبائر ولا يغفر بخلاف بقية الكبائر ولو وجد مؤمن عاص أخف عذاباً من أبى طالب لزم الخلف فى قول الصادق (ص) حيث جعله أخف أهل النار عذاباً على الإطلاق.

فوجب أن يكون عذابه كعذاب عصاة المؤمنين بل يكون أخف العصاة عذاباً وهذا العذاب فى مقابلة كبيرة هى ترك النطق بالشهادة إن قلنا أنه لم ينطق بها وإن ترك النطق بها معصية من كبائر المعاصى وإن عذره فى ترك النطق بها لا يمنع من صحة الإيمان لكنه لا ينفى كون ذلك الترك معصية أو نطق بها ولم يسمعها النبي (ص) فلم يعتد بها فكانه ما نطق بها.

وذلك أن النبي (ص) حضر أبا طالب عند الموت وعنده أبو جهل وعبد الله بن أمية المخزومي.

فقال له النبي: أى عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية يا أبا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب. فلم يزالا يردانه حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله^(٩).

وفى رواية فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله (ص) على إيمانه قال يا ابن أخى لولا مخافة قريش إنى إنما قتلها جزعاً من الموت لقلتها^(١٠).

وفى رواية لما تقارب من أبى طالب الموت نظر إليه العباس فرآه يحرك شفثيه --

(٩) انظر طبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام ومسلم كتاب الإيمان باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله.

(١٠) المرجعين السابقين وانظر مسلم.

فاصغى إليه بإذنه فسمع منه الشهادة فقال للنبي (ص)؛ يا ابن أخى والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته بها.

ولم يصرح العباس بلفظ لا إله إلا الله لكونه لم يكن أسلم حينئذ.

فقال رسول الله لم أسمع^(١١).

وهذا معنى قولهم أنه (ص) لم يعتد بها فكأنه لم ينطق بها.

والمائلون بعدم نجاته لم يأخذوا بهذا الحديث لكون العباس شهد بها حال كفره قبل أن يسلم.

وبعضهم ضعف هذا الحديث.

فعلى تسليم عدم الاعتداد بنطقه هذا وإن الحديث ضعيف فنقول؛ هو كافر باعتبار أحكام الدنيا وأما عند الله فهو مؤمن ناج ممتلىء قلبه إيماناً بدليل ما تقدم عنه.

مما يدل على ذلك أنه يمكن أن عدم نطقه بحضور أبى جهل وعبدالله بن أمية حرصاً منه على بقاء الحفظ للنبي (ص) وصيائته من أذيتهم له بعد وفاته لأنه كان يرى أنه إذا أظهر لهم أنه على دينهم تبقى حرمة وتعظيمه عندهم بعد وفاته فلا ينال النبي (ص) منهم أذى.

(١١) انظر سيرة ابن هشام ج ٢ وفاة خديجة وأبى طالب.

وإذا كان هذا قصده كان معذوراً فتكون إجابته لهما بما أجابهم به مداراة لهما
لئلا ينفرهما خشية أن يؤذوا رسول الله (ص) بعد وفاته.

على أنه يمكن الجمع بين امتناعه ونطقه بأنه امتنع بحضورهما مداراة لهما فلما
انطلقا وذهبا نطق بها وأصغى إليه العباس فسمعه ينطق بها.

ولهذا قال في الحديث السابق ما كلمهم به - يعنى أبا جهل ومن كان معه - ولم
يقبل آخر ما تكلم به مطلقاً فدل على أن قوله هو على ملة عبد المطلب دليل على أنه
على التوحيد لأن عبدالمطلب كان على التوحيد كبقية آبائه (ص) كما حقق ذلك الجلال
السيوطي وغيره في رسائل متعددة^(١٢).

فأبهم أبو طالب عليهم الجواب ليرضيهم ظاهراً وهو يعلم أن عبدالمطلب كان على
التوحيد.

وأخرج ابن عساکر عن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله (ص) يقول إذ
لأبي طالب عندي رجا سألها ببلالها.

والقاتلون بعدم نجاته يقولون أن حديث البخاري ومسلم الذي فيه كان في غمرات
من النار يدفع إيمانه وأن هذا شأن من مات على الكفر.

قال البرزنجي، قلنا ليس من شأن من مات على الكفر يكون في الضحضاح من
النار بل شأنه أن يكون في الدرك الأسفل من النار فقبول الشفاعة فيه حتى صار في

(١٢) رسائل السيوطي طبع بيروت ومنها رسالة في إيمان السيدة آمنة ورسالة في أن أبوي المصطفى
في الجنة.

ضحضاح دليل على عدم كفره إذ لا تقبل فى الكافر شفاعة الشافعين.

وقوله (ص) لولا انا كان فى الدرك الأسفل من النار . معناه لولا أن الله هداه بى للإيمان لما كنت كافراً وكان فى الدرك الأسفل من النار فهو نظير قوله (ص) فى ولد اليهودى الذى زاره فى مرضه وعرض عليه الإسلام فأسلم ومات، الحمد لله الذى أنقذه بى من النار.

وحينئذ ظهر لنا معنى لطيف فى هذا الحديث الآخر الذى كان فى غمرات من النار فشفعت له فأخرج إلى ضحضاح منها وهو أن المعنى كان مشرفاً على دخول الغمرات حيث أبى أن يشهد ثم تشفعت فيه فهداه الله للإيمان.

ولا ينافى هذا قوله انا لم أسمع لجواز أن الله أخبره بعد ذلك.

وقوله تعالى «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» [القصص، ٥٦].

وإن نزلت فى أبى طالب فنزولها فيه لا ينافى أن الله هو الذى هداه بعد أن أيس النبى منه (١٣).

وأخرج ابن سعد وابن عساکر عن على رضى الله عنه قال، أخبرت النبى (ص) بموت أبى طالب فبكى وقال اذهب فغسله وكفنه واره غفر الله له ورحمه ففعلت.

وإنما ترك النبى (ص) المشى فى جنازته اتقاء من شر سفهاء قريش وعدم صلاته لعدم مشروعية صلاة الجنازة يومئذ.

(١٣) هذا على فرض التسليم بسبب النزول.

وقد ذكر أهل السير أنه لما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله (ص) من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفينة من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً فدخل (ص) بيته والتراب على رأسه.

فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تزيل عنه التراب وهي تبكي.

ورسول الله (ص) يقول، لا تبكي يابنية فإن الله مانع أبائك^(١٤).

وقال، ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب.

ويؤيد استعجال آذاهم له أنهم قاموا من عند أبي طالب مغضبين حاقدين على رسول الله حيث كان يكرر على أبي طالب النطق بالشهادتين.

ولما رأى رسول الله (ص) قريشاً تهجموا على أذيته قال بأعم ما أسرع ما وجدت ففدك.

وجاء في رواية البيهقي أن علياً رضي الله عنه لما مات أبو طالب قال، يا رسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات.

قال، اذهب فواره. قلت، أنه مات مشركاً.

قال، اذهب فواره.

(١٤) انظر سيرة ابن هشام ج ٢.

فلما وارىته رجعت إلى النبى (ص) فقال اغتسل^(١٥).

فقوله إن عمك الشيخ الضال قد مات مخالف للحديث السابق^(١٦).

وأجيب بأن هذا منظور فيه إلى ظاهر حاله فى الدنيا ولعل علينا رضى الله عنه
قال ذلك بحضور سفهاء المشركين مداراة لهم فلا ينافى الحديث السابق المنظور فيه
إلى باطن الحال وحقيقة نفس الأمر وهو إيمانه وتصديقه.

(١٥) رواه ابن سعد فى الطبقات أيضا.

(١٦) تأمل تعبير الشيخ الضال وعلى لسان الإمام على تجده تفويح منه رائحة السياسة.

الباب الخامس: نجاه أبى طالب

والحاصل انه يصح الاخبار عنه بالكفر بالنظر لظاهر الحال واحكام الدنيا فلا ينافى انه مؤمن باعتبار باطن الامر وما عند الله بدليل البراهين السابقة الدالة على ايمانه وتصديقه.

قال البرزنجي : إن اعتمادنا فى نجاته على المسلك الأول كافٍ فى النجاة ولا نحتاج إلى غيره لكن ذكرناه زيادة تأكيد للمدعى.

وقد استدلل ايضاً للنجاة بقوله تعالى «فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون» الأعراف / ١٥٧ .

وقد صدقه أبو طالب ونصره بما اشتهر وعلم ونايذ قريشاً بسببه بما لا ينكره أحد من نقله الأخبار فيكون من المفلحين.

وقال القائلون بعدم النجاة إنه نصره لكنه لم يتبع النور الذى أنزل معه وهو الكتاب العزيز الداعى إلى التوحيد ولا يحصل الفلاح إلا بحصول ما رتب عليه من الصفات كلها.

قال البرزنجي: اقول إن اريد اصل النجاة من النار فهو إنما يترتب على الإيمان الذى هو التصديق عند المحققين وقد حصل له ذلك.

وإن اريد الفلاح التام فلا يلزم من عدمه حصول الكفر على أنا نقول قد اتبعه وأمر باتباعه لأن الظاهر من العواطف أى فى قوله «آمنوا به واتبعوا» كما هو الأصل فيه أن الاتباع غير الإيمان.

وإذا كان غيره فيحمل الإيمان على التصديق وهو حاصل وإنما كان الاتباع فيما كان شرع حينئذ ولم يكن إلا التوحيد وصلة الأرحام وترك عبادة الأصنام.

كما مر عن أبي طالب أنه سأل النبي (ص) بم بعثت فأخبره أنه بعث بصلة الأرحام وأن يعبد الله ولا يعبد معه غيره.

ولم يكن في ذلك الوقت فرضت الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج ولا الجهاد فلم يبق إلا قول لا إله إلا الله فإن اعتبر بما يؤدي التوحيد فقد مر أنه نطق بالوحدانية وبحقيقة الرسالة وتصديق النبي (ص) في أشعاره.

وإنما طلب النبي (ص) ذلك منه عند وفاته ليحوز إيمان الوفاة وإن لم يعتد به عند الموت فتكون تلك قرائن دالة على أنه مصدقا بقلبه وإنما امتنع من النطق به خشية أن ينسبوه إلى الجزع من الموت.

والخوف من الموت عندهم عار وقد كانوا عريقين في السيادة والمفاخرة بحيث لا يرضون أن ينسب إليهم أقل قليل مما يخالفها فلا يبعد أن يكون ذلك عندهم عظيما وذلك عذر.

وهذا بحسب ظاهر الأمر وأما في باطن الأمر فالسبب الحقيقي في عدم نطقه بحضور القوم المبالة في المحافظة على حماية النبي (ص) ونصرتة لعلمه بأنه إذا نطق بذلك وعلموا أنه اتبع النبي لم يعتدوا بحمايته وجاهه عندهم بل يخضرون ذمته ويتنكبون حرمة ويبالغون في إيذاء النبي.

وقد كان أبو طالب حريصا على أن يكون أمر النبي (ص) في دعوته الخلق إلى

الله تعالى باقياً بعد موته فلذلك كان محافظاً على بقاء حرمة في قلوب قريش فلو نطق بالشهادتين وعلموا ذلك منه فإنه يفوت غرضه من كمال النصرة والحماية.

ثم ذكر البرزنجي، احتمالات بسبب تعذيب أبي طالب مع عصاة المؤمنين غير النطق بالشهادتين.

فقال يحتمل ذلك لترك الصلاة التي كانت في أول الإسلام وهي ركعتان بالعادة وركعتان بالعشى فإن أبا طالب طلب منه صلاة تينك الصلاتين فامتنع.

وكذا التهجد الذي كان يفعله (ص) في أول الإسلام فيحتمل أن امتناعه من ذلك كراهة أن يعلم قريش أنه أتبع النبي فلا يقبلون حمايته ولا يعملون بها فيكون امتناعه من تلك الصلاة مبالغة في التعمية على قريش ومبالغة في حماية النبي (ص) ونصرتة فيكون ذلك عذراً لكنه لا يمنع كون الامتناع معصية يعاقب عليها.

وكان هو في الظاهر يعطل بخير ذلك فإنه لما طلب منه صلاة تلك الصلاة قال لا تعلموني أسى. فيكون ذلك الامتناع عناداً واستكباراً بحسب الظاهر فيعاقب عليه وإن كان مبالغة في العمية على قريش ليوهمهم أنه معهم وعلى دينهم.

ويحتمل أن دخوله النار كان لبعض حقوق العباد التي كانت عليه بعد البعثة.

وقد ذكر البرزنجي في أول رسالته في مبحث نجات الأيوين نجات جميع الأكباء وأنهم كانوا على التوحيد.

ثم قال في مبحث نجات أبي طالب لم ينقل عن أحد من أعمام النبي (ص) أنه قال

لم تسب آباءنا وتشتم آلهتنا وتسفه أحلامنا كما قالت بقة قريش فلو عرفوا من آبائهم ذلك لقالوا اترك ذكر آبائك بسوء.

واما عداوة ابى لهب فكانت بسبب مصاهرة ابى سفيان فإن ابا لهب كان متزوجا
أخت ابى سفيان أم جميل وسميت فى الإسلام أم قبيح وهى حمالة الحطب فكان أبو
لهب يهوى هواهم.

فالظاهر أن ابا طالب كان على ملة آبائه ولو عبد ابو طالب صنما يلزم أن يكون
أول من أشرك من هذه السلسلة الطاهرة.

ولم يثبت بطريق ثابت أن ابا طالب أول من أحدث الشرك وعبادة الأصنام من
هذا النسب الطاهر والسلسلة المباركة.

والأصل عدم ذلك فهو تبع لعبد المطلب فى كل أحواله من مكارم الأخلاق وحماية
الذمار والرياسة حتى خرج من الدنيا وهو على ملة عبد المطلب.

وهذا هو الذى أشار إليه أبو طالب لما قال لكفار قريش هو على ملة عبد المطلب
فخاطبهم بكلام محمل صحيح يخرجهم عن الشك ويدخله فى زمرة الموحدين لما ستعمله
من مناقب عبد المطلب الدالة على أنه كان موحدا وعمى عليهم الأمر ليبقى جاهه
وحمايته عندهم.

والحاصل إن الأحاديث التى فيها ذكر كفر أبى طالب ودخوله النار إنما هى
بالنسبة للأحكام الدينيوية نظرا لظاهر الشرع وإن دخوله النار لأجل ترك التلطف

بالشهادتين أو لأجل ترك فرض من الفرائض أو لحق من حقوق العباد.

ولا يلزم من دخوله النار خلوده فيها وليس في تلك الأحاديث نص على أنه يغلد في النار وقد شفع النبي (ص) في جعله في ضحضاح ولو كان كافراً ما قبلت شفاعته فيه.

وصح أن أخف أهل النار عذاباً عصاة المؤمنين وأن أبا طالب أخف أهل النار عذاباً على الإطلاق فهو أخف حتى من عصاة المؤمنين.

وصح أن العصاة يخرجون من الجحيم وإن الريح تصفق أبوابها وينبت فيها الجرجير فيكون أبو طالب من المخرجين منها بل يكون أول المخرجين لأنه أخفهم عذاباً والكافرون ليسوا بمخرجين منها.

فثبت بهذه الأدلة أنه وإن عذب في النار لا يد له من الخروج منها ودخول الجنة إذ لا واسطة بين الجنة والنار.

ثم قال: فإن قلت أثبت العلماء له (ص) نوعاً من الشفاعة للكفار وجعلوا ذلك خصوصية لنبينا ومثلوا ذلك بشفاعته لأبي طالب وهي التخفيف من عذابه.

قلت هذا مبني على أن أبا طالب كافر وقد أثبتنا إيمانه فهو أول الدعوى وقد أثبتنا أن شفاعته له باعتبار معصية من الكبائر ارتكبها فهو من أفراد قوله (ص) شفاعتي لأهل الكبائر.

وليس مستثنى من قوله تعالى «فَمَا تَلْعَمُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ» [المدثر: ٤٨] ولا مخصصاً

لعموم الآية فهى باقية على عمومها وليس عندهم مثال آخر يمثلون به لشفاعته لأحد من الكفار غير أبى طالب فإن كان لهم دليل آخر فليذكر حتى ينظر فيه.

نعم إن أرادوا الكفار فى ظاهر الشرع رجع الخلاف لفظيا ولو لم نحمل الكلام على هذا التحقيق يلزمهم أيضا أن قوله تعالى «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» [النساء، ٤٨] مخصوص بغير أبى طالب ولا قائل به.

وقد تكلم البرزنجى على الآيات التى فى القرآن التى قيل أنها نزلت فى أبى طالب.

كقوله تعالى «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ» [التوبة، ١١٢].

فقال إنى تتبع الأحدث الواردة فى سبب نزولها فوجدتها منقسمة إلى ثلاثة أوجه،

الأول، أنها نزلت فى أبى طالب.

والثانى، أنها نزلت فى والدته النبى (ص).

والثالث، أنها نزلت فى آباء الناس الذين ماتوا فى الكفر كان اولادهم يستغفرون لهم.

أما الوجه الثانى، وهى أنها نزلت فى والدته النبى (ص) فهو ضعيف جدا.

وأما الوجه الأول، وهو كونها نزلت فى أبى طالب فهو اختصار من الرواة فى

الحديث فالصحيح أن سبب النزول هو الوجه الثالث.

ومما استدلل به على ذلك أن الآية نزلت بالمدينة والسورة مدنية نزلت بعد تبوك وموت أبى طالب كان بمكة قبل نزول الآية بنحو اثني عشر سنة.

ثم رأينا أن علياً رضي الله عنه روى من طرق صحيحة رواها الإمام أحمد والترمذي والطيالسي وابن أبي شيبة والنسائي وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وصححه ابن مردويه والبيهقي أن السبب في نزولها استغفار ناس لأبائهم المشركين.

قال على رضي الله عنه سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت: استغفر لأبويك وهما مشركان.

فقال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه. فذكرت للنبي (ص) فنزلت «ما كان للشي والدن آمتوا» الآية فهذه الرواية صحيحة.

وقد وجدنا لها شاهداً برواية صحيحة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما رواها ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال: كانوا يستغفرون لأبائهم حتى نزلت هذه الآية فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا.

ثم أنزل الله «وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ» [التوبة: ١١٤] يعني استغفر له ما كان حيناً فلما مات أمسك عن الاستغفار له.

وهذا شاهد صحيح فحيث كانت هذه الرواية أصح كان العمل بها أرجح فالأرجح أنها نزلت فى استغفار أناس لأبائهم المشركين لا فى أبى طالب.

ثم ذكر أنه يمكن الجمع بينها وبين الرواية التى فيها أنها نزلت فى أبى طالب مع حصول مطلوبنا لأن الرواية التى فيها أنها نزلت فى أبى طالب فيها اختصار حيث قال الراوى فى آخرها لاستغفرن لك مالم إنه عنك فنزلت «ما كان للنبي» الآية.

ولم يقل فقال المسلمون إن رسول الله (ص) يستغفر لعمه نستغفرن لأبائنا فاستغفروا لأبائهم فنزلت فى حقهم الآية فحيث حذفت هذه الجملة ظن الراوى أنها نزلت فى أبى طالب ولو ذكرت هذه الجملة لقليل نزلت فى استغفار أناس فى آبائهم.

وبيان ذلك إن النبي (ص) لما عرض على أبى طالب أن يقول لا إله إلا الله بحضور أبى جهل وعبد الله بن أمية المخزومي فأبى أبو طالب فقال النبي: لاستغفرن لك مالم إنه عنك.

فقال المسلمون، إن رسول الله يستغفر لعمه. نستغفرن لأبائنا فاستغفروا لأبائهم فنزلت فى حقهم الآية فاختصر الراوى وحذف منه الجملة الأخيرة.

ومما يدل على هذا الجمع أنا وجدنا أحاديث يستفاد منها هذا الجمع.

منها: ما رواه ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظى قال لما مرض أبو طالب أتاه النبي (ص) فعرض عليه أن يقول لا إله إلا الله فأبى أبو طالب فقال النبي لأستغفرن لك مالم إنه عنك.

فقال المسلمون: هذا محمد يستغفر لعمه وقد استغفر إبراهيم لأبيه فاستغفروا
لقربائهم من المشركين.

فأنزل الله تعالى «ما كان للنبي والذين آمنوا» الآية.

ثم أنزل «وما كان استغفار إبراهيم لأبيه» الآية.

وروى ابن جرير من طريق شبل عن عمرو بن دينار أن النبي (ص) قال: استغفر
إبراهيم لأبيه وهو مشرك فلا أزال استغفر لأبي طالب حتى ينهاني عنه ربي.

فقال أصحابه: لنستغفرن لأبائنا كما استغفر النبي لعمه.

فأنزل الله «ما كان للنبي» الآية.

فظهر بهذه الأخبار أن الآية نزلت في استغفار المسلمين لأقاربهم المشركين فظهر
أن في الرواية التي فيها أنها نزلت في أبي طالب اختصاراً وحذفاً بسببه حصل الاشتباه
حتى ظن أنها نزلت في أبي طالب وليس الأمر كذلك.

ومما يؤيد أن هذا الجمع متعين أن السورة كلها مدنية نزلت بعد تبوك وبينها
وبين موت أبي طالب نحو من اثنتي عشرة سنة.

وانضم إلى ذلك حديث على السابق الصحيح وما انضم من الشواهد وكون الآية
مدنية فلا ينبغي إلغاء تلك الشواهد وترجيح أنها نزلت في أبي طالب وإن كان مذكوراً

فى البخارى ومسلم إذ قد يرجح حديث غير البخارى ومسلم لأمر تقتضى ذلك.

وقد صرحوا بذلك فى أصول الحديث فقولهم يقدم حديث البخارى ومسلم أو أحدهما ليس على إطلاقه.

ومما يؤيد هذا الجمع أن المراد من أبى إبراهيم عمه كما حققنا ذلك فى نجاته الأبوين^(١).

واجمع على ذلك أهل الكتابين التوراة والإنجيل.

وعم إبراهيم وهو آزر كان يتخذ أصناماً آلهة كما حكى الله عنه وكان يقول لإبراهيم «أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم» مريم / ٤٦ .

ولم ينقل عن أبى طالب بطريق صحيح أنه اتخذ صنماً إلهاً أو عبد حجراً أو نهى النبى (ص) عن عبادة ربه غايته أنه ترك النطق بالشهادتين أو ترك بعض الواجبات ومع ذلك قلبه مشحون بتصديق النبى.

ومثل هذا ناج فى الآخرة على مقتضى ديننا فلا يليق بالحكمة ولا بمحاسن الشريعة الغراء ولا بقواعد الأئمة من أهل الكلام أن يكون هو وآزر عم إبراهيم فى قرن واحد حاشا من كرم الله تعالى.

قال حسان رضى الله عنه،

(١) أى فى رسالة نجاته الأبوين، عبدالله وآمنة، والكلام هنا للبرزنجى.

امن يهجو رسول منكم ويهدجه وينصره سواء

فإن ابا طالب ربه صغيراً وآواه كبيراً ونصره ووقره وذب عنه ومدحه بقصائد
غرر ورضى باتباعه.

وليس فى حديث عمرو بن دينار المار انفاً دلالة على شركة فى قوله: استغفر
إبراهيم لأبيه وهو مشرك. فلا أزال استغفر لأبى طالب. بل يمكن أن معناه أن إبراهيم
استغفر لأبيه مع شركة فكيف لا استغفر انا لأبى طالب مع أن خطيئته دون الشرك فلا
أزال أسغفر له حتى ينهاني ربي ولم ينه بل نهى عن الاستغفار للمشركين لا لخصوص
عمه.

قلو كان كذلك لقل ان يستغفروا للمشركين وأن يستغفر النبى لعمه ولم يقل
كذلك.

ويصرح بهذا ما أورده فى الدر المنثور من طريق ابن جرير عن قتادة أن رجلاً من
أصحاب رسول الله (ص) سألوه عن الاستغفار لأبائهم.

فقال: والله إنى لا استغفر لأبى كما استغفر إبراهيم لأبيه.

فأنزل الله «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين» الآية.

فقال النبى (ص): إنى أوحى إلى كلمات قد دخلن فى أذنى ووقرن فى قلبى أمرت

أن لا أستغفر لمن مات مشركا.

فكونه (ص) قال إنى لأستغفر لأبى يعنى لعمى ثم لم يقل امرت أن لا أستغفر له بل قال لمن مات مشركا جواب لسؤال أصحابه مع الإشارة الخفية إلى أن عمه لم يكن مشركا فدللت أحاديث شفاعته (ص) على أنه يشفع فيمن فى قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من إيمان وهذه الإشارة الخفية كانت تقع منه (ص) حرصا على الصدق وأن لا يقع فى كلامه لفظ مخالف للواقع فإنه معصوم من الكذب وهو منه مستحيل فيأتى بالفظ عام فيه إشارة خفية فيحصل بذلك جواب السائل ويرضى به وتطيب به نفسه.

ومن ذلك ما رواه ابن ماجه عن ابن عمر ما قال جاء إعرابى إلى النبى (ص) فقال إن أبى كان يصل الرحم وكان وكان فأين هو ؟ .

قال فى النار.

فكانه وجد من ذلك فقال الرجل أين أبوك أنت؟.

فقال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار.

فاسلم الأعرابى وقال لقد كلفنى رسول الله (ص) شططا ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار. فاجمل رسول الله (ص) الجواب بقوله: حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار. جريا على عادته إذا سأل أعرابى وخاف من إفصاح الجواب له فتنته واضطرب قلبه. أجاب بجواب فيه تورية وإيهام مع تحرى الصدق.

فهنا لم يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة حكم أبيه لأبيه فى المحل الذى هو فيه خشية ارتداده.

لما جلبت عليه النفوس من كراهية الاستيثار عليها ولما كانت عليه العرب من الجفاء وغلظ القلوب فأورد له جواباً موهماً تطييباً لقلبه فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره مما غيره الرواة بالمعنى.

كرواية مسلم أن رجلاً قال يا رسول الله أين أبى؟

قال فى النار.

فلما ولى دعاه. فقال، إن أبى وأباك فى النار^(٢).

فهذه الرواية منكرة وللعلماء فيها كلام كثير لخصه الزرقانى فى شرح المواهب قال، واحسن ما يقال فيها ان الرواة تصرفوا فيها واختلفت رواياتهم وأن الصواب كالرواية الأولى وهو حيثما مررت بقبر كافر، فهى فى غاية الاتقان يتبين بها أن اللفظ العام وهو حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار هو الصادر منه (ص).

فكان بعض الرواة فهم أن قوله حيثما مررت بقبر كافر شامل لأبى النبى وأنه كافر فغيره ورواه بالمعنى على حسب فهمه.

(٢) كتاب الإيمان باب بيان أن من مات على الكفر فهو فى النار.

وقال - أي الزرقاني - إن أبي وأباك في النار وما تقدم من أن أزر عم إبراهيم وليس بأبيه هو القول الصحيح.

قال العلامة ابن حجر الهيتمي إن أهل الكتابين اجمعوا على أن أزر لم يكن أبا لإبراهيم حقيقة وإنما كان عمه وسماه الله في القرآن أبا لأن العرب تسمى العم أبا.

وجزم بذلك الفخر الرازي وقال جاء في القرآن تسمية العم أبا. «إِلَهُكَ وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ» [البقرة: ١٣٣] مع أن الكلام كان مع أولاد يعقوب وإسماعيل عم يعقوب^(٢).

وقد سبق الرازي إلى ذلك جماعة من السلف منهم ابن عباس ومجاهد وابن جرير والسدي قالوا ليس أزر أبا إبراهيم وإنما هو عمه لأن إبراهيم أبوه تارخ.

وممن وافق الرازي الماوردي من أئمة الشافعية.

وقال في قوله تعالى «وَقَلِّبْكَ فِي السَّاجِدِينَ» كما قال الرازي أن المراد تقلبه وتنقله من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية وهذا وجه من وجوه تفسير الآية وليس مراده الحصر في هذا الوجه ولكن هذا الوجه هو الأولى بالقبول.

فقد أخرج ابن سعد والبزار والطبراني وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: «وَقَلِّبْكَ فِي السَّاجِدِينَ» قال من نبي إلى نبي ومن نبي إلى نبي حتى أخرجتك نبيا فمفسر تقلبه في الساجدين بتنقله في أصلاب الأنبياء ولو مع الوسائط.

(٢) انظر تفسير الفخر الرازي سورة البقرة آية رقم ١٣٣ وانظر أسرار التنزيل.

وحمل الآية على أعم من هم المصلون الذين لم يزالوا في ذرية إبراهيم أوضح
ليشمل غير الأنبياء.

فقد أخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى «رب اجعلني مقيم الصلاة ومن
ذريتي» [ال، *] قال فلا تزال من ذرية إبراهيم ناس على القطرة يعبدون الله تعالى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد في قوله تعالى «وجعلها كلمة باقية في
عقبه» الزخرف / ٢٨ أنها لا إله إلا الله باقية في عقب إبراهيم عليه السلام.

وعن قتادة في الآية هي شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لا يزال في ذريته من
يقولها من بعده.

وقد صح من طرق صحيحة أن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين فمن ذلك ما
أخرجه عبدالرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن علي رضي الله
عنه قال لا يزال على وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعدا ولولا ذلك لهلكت الأرض ومن
عليها.

وأخرج الإمام أحمد في الزهد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل
الأرض.

وأخرج البخاري حديث بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فصرنا حتى بعثت من

القرن الذى كنت فيه والآية هى شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لا يزال فى ذريته من يقولها من بعده .

وقد صح من طرق صحيحة أن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين.

فمن ذلك ما أخرجه عبدالرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن على بن رضى الله عنه قال لا يزال على وجه الأرض سبعة مسلمين فمن ذلك ما أخرجه عبدالرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط مسلمون فصاعداً ولولا لهلكت الأرض ومن عليها.

وأخرج أحمد فى الزهد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما خلقت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض.

وأخرج البخارى حديث بعثت من خير قرون بنى آدم قرناً فقرناً حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه فإذا قرنت بين هاتين المقدمتين اعلى بعثت من خير قرون بنى آدم . الخ. وأن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين . الخ. انتهى ما قاله الإمام الرازى من أن آباءه كلهم موحدون لأنه إن كان كل جد من أجداده من جملة السبعة المذكورين فى زمانهم ففيه المدعى.

وإن كانوا غيرهم فإما أن يكونوا على الحنفية ملة إبراهيم عليه السلام فهو المدعى أيضاً.

وإما أن يكونوا على الشرك فيلزم أحد امرين:

إما إن يكون غيرهم خيراً منهم وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح من أنهم من خير قرون بنى آدم قرناً فقرنا.

وإما أن يكونوا خيراً وهم على الشرك وهو باطل بالإجماع.

قال تعالى «ولمبد مؤمن خير من مشرك» فثبت أنهم على التوحيد فيكونوا خير أهل الأرض فى زمانهم.

وقد ذكر البرزنجى والسيوطى وغيرهم ممن ألفوا فى نجاه آباء النبى (ص) وأمهاتهم وفى أنهم كلهم على التوحيد دلائل وبراهين على ذلك وأفردوا كل أحد من الآباء بترجمة.

وقد صح فى احاديث كثيرة انه (ص) قال: لم ازل انتقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات.

وفى رواية: لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الحسبية إلى الأرحام الطاهرة.

وعلى هذا حمل بعضهم قوله تعالى «وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّاجِدِينَ» [الشعراء: ٢١٩].

وقوله (ص) من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات فآباء النبى وأمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر لأن الكافر لا يوصف بأنه طاهر.

والى هذا أشار صاحب الهمزية حيث قال:

لم تزل فى ضمائر الكون تختار لك الأمهات والأبساء

وقال رسول الله (ص) ما ولدت من بغى قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل
تتنازعنى الأمم كابرًا عن كابر حتى خرجت من أفضل حين من العرب هاشم وزهرة^(٤).

وحيث أن ابا طالب قال هو على ملة عبدالمطلب فلنذكر بعض ما ذكره فى
عبدالمطلب لتعلم علمًا يقينًا أنه كان على التوحيد.

فما ذكره فى عبدالمطلب أنه نشأ على أكمل الصفات وانتهت إليه الرياسة بعد
عمه المطلب وكان ينسب أولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم
عن دنيا الأمور.

وكان يقول: لن يخرج من الدنيا ظلم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة إلى أن
هلك رجل ظلم من أرض الشام ولم تصبه عقوبة فقيل لعبدالمطلب فى ذلك:

فذكر وقال: والله إن وراء هذه الدار دارًا يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب
المسئء بإساءته أى فالظلم شأنه أن تصيبه عقوبة فإن أخرج من الدنيا لم تصبه عقوبة
فهى معدة له فى الآخرة^(٥).

(٤) روى أبو نعيم فى دلائل النبوة عن الرسول (ص) قوله، لم يلتق أبواى قط فى سفاح ولم يزل الله
ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة صافيًا مهذبًا لا تشعب شعبتان إلا كنت فى
خيرهما.

ويروى ابن سعد فى الطبقات ج ١/ عن الرسول قوله، والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم
إلا كنت فى خيرهما.

وانظر دلائل النبوة للبيهقى.

(٥) الملل والنحل لشهرستانى هامش الفصل فى المال والنحل ج ٢/ ٢٢٥.

فهنا إيمان منه باليوم الآخر علمه بالفراسة الصادقة وهي نور الهى يقع فى القلب وكان عبدالمطلب يرفض عبادة الأصنام ويعترف بوحداية الله تعالى ولم تكن شريعة مشروعة فى زمنه فهذا كانت عبادته التفكير فى آلاء الله ومصنوعاته وصلة الأرحام واصطناع المعروف والاتصاف بمكارم الأخلاق.

وكان يختل كثيرا بغار حراء ليجتمع فكره وقلبه فى الاستغراق فى التفكير فى صفات الله وأفعاله الدالة عليه وورد عنه فى السنة أشياء كان متصفا بها ويامر الناس بفعلها.

منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق وإنهى عن قتل المؤودة وتحريم الخمر والزنا وأن لا يطوف بالبيت عريانا.

وهو أول من جعل الدية مائة من الإبل فجاء الشرع مؤيدا ذلك ومقررا.

وكان لطيب ريحه يفوح منه رائحة المسك وكان نور النبى يضىء فى غرته.

وفيه يقول القائل:

علا شيبة الحمد الذى كان وجهه يضىء ظلام الليل كالقمر البدر

وكانت قريش إذا أصابها قحط شديد تأتي عبدالمطلب فتستسقى به فيسقون ولما جاء أصحاب الفيل ليهدموا الكعبة هلكوا بدعائه عند البيت المعظم.

ومما نقل عنه فى ذلك اليوم:

لاهم إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وقال أيضًا:

يارب لا أرجو لهم سواكا يارب فامنع عنهم حماكا
إن عدو البيت قد عاداكا فامنعهمو أن يخبروا قراكا

واخذ أصحاب الفيل له ذودا من الإبل فذهب إلى أبرهة رئيسهم يسأله اطلاق
إبله فعظمه وأجلسه معه على سريريه فلما سأله اطلاق إبله.

قال له أبرهة سقطت من عيني جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك
فألهاك عنه ذود اخذ منك.

فقال أنا رب الإبل وللبيت رب يمنعه.

وقال يا معشر قريش لا يصل إلى هدم البيت لأن لهذا البيت ربنا يحميه فأرسل
الله عليهم طيرا أبايل فأهلكهم^(٦).

وكان لعبد المطالب إبل كثيرة يجمعها في الموسم ويسقي لبنها بالعسل في حوض
من آدم عند زمزم ويشترى الزبيب فينقعه بماء زمزم ويسقيه الحاج.

ولما توفى عبد المطالب قام بالسقاية أبو طالب ثم بعده العباس^(٧).

(٦) انظر قصة أصحاب الفيل في سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ.

(٧) انظر المراجع السابقة باب وفاة أبو طالب.

ومن كلام عبدالمطلب:

يا رب أنت الملك المحمود وأنت ربى الملك المعبود
من عندك الطارف والتلبد

وكان عبدالمطلب يكرم النبی (ص) ويعظمه وهو صغير ويقول إن لا بنى هذا لشأنا
عظيماً^(٨).

وقد سمع من الكهان والرهبان شيئاً كثيراً في شأن النبی قبل ولادته وبعدها^(٩).

وكان عبدالمطلب رئيس قريش معظماً فيها وكانوا يفرشون له حول الكعبة فيجلس
ويجتمع حوله رؤساء قريش ولا يستطيع أحد أن يجلس على فراشه ولا أن يطأه بقدمه.

وكان النبی (ص) وهو صغير يزاحم الناس فيدخل حتى يجلس بجانب جده
عبدالمطلب وربما جاء قبل جده عبدالمطلب فيجلس على فراشه فإذا أراد أحد من
أعمامه أن يمنعه يزجره جده عبدالمطلب ويقول دعوه إن له لشأنا ثم يجلس على فراشه
معه ويمسح ظهره ويسره ما يراه يصنع^(١٠).

وتوفى عبدالمطلب وعمر النبی ثمان سنين فأوصى به إلى عمه أبي طالب وكان
شقيق أبيه عبد الله وأمه فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم.

(٨) ابن هشام وابن سعد باب ذكر عبدالمطلب.

(٩) المرجعين السابقين وانظر كتب التاريخ.

(١٠) المرجعين السابقين.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت ابى العباس يقول كان لعبد المطالب مفرش فى الحجر يجلس عليه لا يجلس عليه غيره وكان حرب بن أمية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون الفرش فجاء رسول الله يومًا وهو غلام فجلس على الفرش فجذبه رجل فبكى.

فقال عبدالمطلب : ما لابنى يبكى.

قالوا : أراد أن يجلس على الفرش فمنعوه.

فقال عبدالمطلب : دعوا ابنى يجلس عليه فإنه يحس من نفسه بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربى قبله ولا بعده.

فكانوا بعد ذلك لا يردونه عنه حتى حضر عبدالمطلب أو غاب^(١١).

وفى رواية : دعوا ابنى أنه ليؤتمن ملكا.

وفى رواية : فإنه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن.

وكان عبدالمطلب من علماء قريش وحكمائها وكان مجاب الدعوة محرماً للخمر على نفسه وهو أول من تحنث بفار حراء والتحنث التعبد الليالى ذوات العدد.

وكان إذا دخل شهر رمضان صعبه وأطعم المساكين وكان صعوته للتخلى عن

(١١) المرجعين السابقين.

الناس يتفكر في جلال الله وعظمته وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش في
رؤس الجبال..

وكان يقال له مطعم الطير.

ويقال له الفياض. ولد وفي رأسه شيبة فقيل له شيبة الحمد وجاء أنه يكبر
ويشيخ ويكثر حمد الناس له.

وقد حقق الله ذلك فكثر حمدهم له لأنه كان مفضح قريش في النواثب وملجأهم
في الأمور وشريفهم وسيدهم كمالاً وفعلاً عاش مائة وأربعين سنة وله مناقب كثيرة.

منها: حضر بئر زمزم وكانت درست بعد إسماعيل فأمر في المنام بحضرها وأرشد
في المنام إلى محلها وقصة ذلك طويلة مذكورة في كتب السير^(١٢).

وفي السيرة الحلبية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله (ص)
يبعث جدي عبدالمطلب يوم القيامة في زى الملوك وابهة الإشراف.

قال البرزنجي، ويروى أن عبدالمطلب يعطى نور الأنبياء وجمال الملوك ويبعث أمة
وحده. قال، لأنه كان على التوحيد.

وذلك، كمنى أخبر عنه النبي (ص) من أمثاله كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة ابن --

(١٢). انظر المرجعين السابقين قصة حفر زمزم.

نوفل أنه يبعث أمة وحده.

ومن يبعث أمة وحده لا يبعد أنه يعطى نور الأنبياء لأنه مستقل لا تابع.

وأما كونه يعطى جمال الملوك فلأنه كان سيد قريش فى زمانه وهو ملحق بالملوك الذين عدلوا وما ظلموا.

وهذا له شاهد فيما رواه البيهقى وأبو نعيم عن كعب الأحبار أنه قال فى التوراة فى صفة أمة محمد (ص) أنهم فى القيامة يعطون نور الأنبياء^(١٢).

وبالجملة فمن وقف على مذكره العلماء فى ترجمته علم علما يقينا أنه كان على التوحيد وهكذا بقية آبائه إلى آدم عليه السلام.

وبهذا يعلم أن قول أبى طالب هو على ملة عبدالمطلب إشارة إلى أنه على التوحيد ومكارم الأخلاق ولو لم يصدر من أبى طالب من الإشارات الدالة على التوحيد إلا قوله وهو على ملة عبدالمطلب لكان ذلك كافيا.

فلله دره من لبيب حاذق وهذا المسلك الذى سلكه العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجى فى نجاته أبى طالب لم يسبقه إليه أحد فجزاء الله أفضل الجزاء ومسلكه هذا الذى سلكه يرتضيه كل من كان متصفا بالإنصاف من أهل الإيمان لأنه ليس فيه إبطال شيء من النصوص ولا تضعيف لها وغاية ما فيه إنه حملها على معان مستحسنة يزول بها الأشكال ويرتفع الجدال ويحصل بذلك قرينة عينية النبى (ص) والسلامة من الوقوع فى تنقيص أبى طالب أو بغضه فإن ذلك يؤذى النبى.

(١٢) انظر دلائل النبوة لأبى نعيم والبيهقى.

وقد قال الله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا» [الأحزاب، ٥٧] .

وقال تعالى «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» .

وقد ذكر أحمد بن الحسين الموصلى الحنفى المشهور بابن وحشى فى شرحه على الكتاب المسمى بشهاب الأخبار للعلامة محمد بن سلامة القضاعى المتوفى سنة ٤٥٤هـ إن بغض أبى طالب كفر ونص على ذلك ايضاً من أئمة المالكية العلامة على الأجهورى فى فتاويه والتلمسانى فى حاشيته على الشفاء فقال عند ذكر أبى طالب لا ينبغى أن يذكر إلا بحماية النبى (ص) لأنه حماه ونصره بقوله وفعله وفى ذكره بمكروه أذية للنبى وكفر والكافر يقتل.

وقال أبو الطاهر من أبغض أبى طالب فهو كافر.

والحاصل أن إيذاء النبى (ص) كفر يقتل فاعله إن لم يتب.

وعند المالكية يقتل وإن تاب.

وروى الطبرانى والبيهقى أن ابنة أبى لهب واسمها سبيعة وقيل درة قدمت المدينة مسلمة مهاجرة.

فقيل لها لا تغنى عنك هجرتك وانت بنت حطب النار فتأذت من ذلك فذكرته للنبى (ص) فاشتد غضبه ثم قام على المنبر.

فقال ما بال اقوام يؤذوننى فى نسبى وذوى رحمتى فمن آذى نسبى وذوى رحمتى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى.

واخرج ابن عساکر عن على رضى الله عنه ان رسول الله (ص) قال من آذى شجرة منى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى.

فبغض ابى طالب والتكلم فيه يؤذى رسول الله (ص) ويؤذى اولاده الموجودين فى كل عصر.

وقد قال (ص) لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات.

ومما يؤيد هذا التحقيق الذى حققه العلامة البرزنجى فى نجاة ابى طالب ان كثيرا من العلماء المحققين وكثيرا من الأولياء العارفين أرباب الكشف قالوا بنجاة ابى طالب منهم القرطبى والسبكى والشعرانى وخلائق كثيرون وقالوا هذا الذى نعتقده وندين الله به وإن كان ثبوت ذلك عندهم بطريق غير الطريق الذى سلكه البرزنجى فقد اتفق معهم على القول بنجاته.

فقول هؤلاء الأئمة بنجاته اسلم للعبد عند الله تعالى لا سيما مع قيام هذه الدلائل والبراهين التى اثبتتها العلامة البرزنجى.

ومما استدل به القائلون بعدم نجاته ان عم النبى (ص) لم يورث منه جعفرًا ولا عليًا لاختلاف الدين.

«وأجليب البرزنجي عن ذلك بوجه».

عنها، ان الميراث في وقت موت ابي طالب لم يقرض وإنما كان الأمر بالوصية فقد يكون أبو طالب أوصى بماله لعقيل فإنه كان يحبه كثيراً ويحتمل على تسليم ان عقيلاً أخذ ذلك ميراثاً ان النبي (ص) إنما سكت معاملة لأبي طالب وعقيل بحسب ظاهر الأمر من الكفر بحسب الحكام الدنيا.

قيل إن مما نزل في أبي طالب «إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسأل عن أصحاب الجحيم» [البقرة: ١٢٩] وهذا القول ضعيف جداً كالقول بأنها نزلت في أبوي النبي (ص) فإن ذلك ضعيف أيضاً. بل قيل إن ذلك باطل لا أصل له، والآية إنما نزلت في اليهود.

قال أبو حيان في البحر: «يسويك الآيات» والواحقها: تدل على ذلك أي فإن الجميع نزل في اليهود بخلاف ذلك يوجب تنقيحك، تنظم الآيات، وذهب جزالتها كما أشار إلى ذلك المولى أبو السعود في تفسيره (١٤).

وقد ذكر البرزنجي أحاديث كثيرة تدل على نجاة ابي طالب ثم قال وإن كان بعضها ضعيفاً لكن لكثرتها يقوى بعضها بعضاً لا سيما وأكثرها صحيح لا ضعف فيه.

فمن الصحيح ما أخرجه ابن سعد وابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال أخبرت رسول الله (ص) بموت أبي طالب فبكى وقال اذهب فغسله وكفنه ووارده غفر الله له ورحمه.

(١٤) تفسير البحر المحيط سورة البقرة آية رقم ١٢٩، وانظر تفسير أبو السعود.

وفى السيرة الحلبية أن هذا الحديث أخرجه أيضا أبو داود والنسائي وابن الجارود وابن خزيمة عن علي رضي الله عنه قال لما مات أبو طالب أخبرت النبي (ص) بموته فبكى وقال اذهب فغسله وكفنه ووارده غفر الله له ورحمه.

ثم قال البرزنجي: على أن اعتمادنا على المسلك الأول الكافى فى النجاة ولا نحتاج إلى هذا ولكنه زيادة تأكيد فى المدعى.

ومن الأحاديث التى ذكرها فى الشفاعة ما رواه أحمد والطبراني والبخاري عن معاذ ابن جبل وأبي موسى قالا: قال رسول الله (ص): إن ربي خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة أو شفاعة فاخترت لهم الشفاعة وعلمت أنها أوسع لهم وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا.

وروى أحمد وابن أبي شيبة والطبراني عن أبي موسى قال: قال رسول الله (ص): إنى أخت شفاعتى وجعلتها لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا.

وفى رواية لأبي يعلى وأبي نعيم عن أبي ذر رضي الله عنه - وهي نائلة منهم إن شاء الله تعالى - من لم يشرك بالله شيئا.

وفى رواية عن عوف بن مالك عن رسول الله (ص) سألت الله أن لا يلقاه عبد من أمتي يوحد إلا أدخله الله الجنة.

وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمر إن رسول الله (ص) تلا قول إبراهيم «لَمَنْ تَبَعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [إبراهيم، ٣٦].

وقول عيسى « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم »
المائدة / ١١٨ فرقع يديه وقال أمتي أمتي ثم بكى.

فقال الله، يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا
نسوءك (١٥).

وروى البزار والطبراني عن علي كرم الله وجهه عن رسول الله (ص) فقال، اشفع
لأمتي حتى يناديني ربي أرضيت يا محمد فأقول أي رب رضيت.

وروى الطبراني في الأوسط بسند حسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال، قال رسول الله (ص)، إني أخرت شفاعتي لأمتي وهي بالغة إن شاء الله من مات لا
يشرك بالله شيئاً.

قال البرزنجي فانظر هذه الأحاديث فإنها كلها تدل على أن الشفاعة لا تنال
مشركاً وقد نالت الشفاعة أبا طالب بنص الحديث الصحيح ونعلم قطعاً أنه كان يصدق
بنبوة النبي (ص) وصدقه وحقية دينه وكفى بالظاهر دليلاً.

فلا بد من القول بنجاته ولا منافاة بينها وبين الأحاديث التي فيها ذكر كفره
ودخوله النار لما تقدم أن الحكم بكفره إنما هو بالنسبة للأحكام الدنيوية نظراً لظاهر
الشرع وأن دخوله النار لأجل ترك فرض من الفرائض وهذا لا يلزم منه خلوده في النار
وليس هناك نص على أنه مخلص في النار مع ما مر في بيان سبب نزول النهي عن ---

(١٥) كتاب الإيمان، باب دعاه النبي (ص) لأمنه وبكائه.

الاستغفار من الجمع ولله الحمد.

وتقدم إن قوله تعالى «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» لا يمنع من إيمانه فإنها إنما دلت على أنك لا تهديه ولكن الله يهدي من يشاء فنقول أن الله هداه.

وتقدم أن العباس لما أخبر النبي (ص) بآفته أتى بالشهادة قال له ثم أسمعته إنما قال له ذلك نظراً إلى ظاهر الحال وذلك لا يمنع أن الله أطلع على إيمانه ولذلك قال كل الخير أرجو من ربى.

وقد صح أن العباس سأل رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله أترجو لأبى طالب خيراً. قال، كل الخير أرجو من ربى.

وهذا الحديث رواه ابن سعد فى الطبقات بسند صحيح ورجاؤه (ص) محقق ولا يرجو كل الخير إلا للمؤمن ولا يجوز أن يراد بهذا ما حصل له من تخفيف العذاب فإنه ليس خيراً فضلاً عن أن يكون كل الخير وإنما تخفيف العذاب تخفيف الشر وبعض الشر أهون من بعض وحصول كل الخير إنما يكون بدخول الجنة.

قال بعض العارفين أنه ثبت عند أهل الكشف إيمان أبى طالب ثبوتاً لا شك فيه ولعل السبب فى أن الله أبهم أمره بحسب ظاهر الشرع لتطبيب قلوب أصحاب النبى (ص) الذين كان آباؤهم كفاراً لأنه لو صرح لهم بإيمان أبى طالب وهم يرونه كافراً بحسب الظاهر مثل آبائهم تنفر قلوبهم وتنوع صدورهم ويقولون إنه لا فرق بينه وبين آبائنا.

فكيف يكون ناجيا وهم معذبون؟

وهذا يكون منهم بحسب ما تقتضيه الطبيعة البشرية فإنها تنفر من استئثار غيرها عليها كما تقدم نظير ذلك فى الذى قال ابن أبى.

ولو أظهر أبو طالب إيمانه لفات ما قصده من نصرة النبى (ص) وحمايته ثم فى ذلك لله تعالى حكم كثيرة لا اطلاع لنا عليها فيجب علينا التسليم لأمر الله تعالى والانقياد لحكمه والرضا به وحفظ الأدب مع رسول الله (ص) وأهل بيته وتحسين الظن بهم حتى لا يطالبنا احد منهم بظلامة ونسال الله تعالى التوفيق.

هذا خلاصة ما لخصته من الخاتمة التى ذيل بها العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجى رسالته التى ألفها فى نجاته الأبوين مع ما ضممته إلى ذلك مما وجدته فى المواهب والسيرة الحلبية وغيرهما من الكتب المعتمدة المرضية.

قال العلامة البرزنجى فى آخر الخاتمة التى هى آخر رسالته لما أكملت تسويده فى أوائل شهر الله الحرام ذى القعدة من شهور سنة ألف وثمانون بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام فى منزلى بالزقاق المشهور بزقاق البدور وهو داخل السور أرسلت به إلى بعض خدام الحرم الشريف ممن له قدم فى طريق الله تعالى وله أذكار وأوراد وله سلوك وهو متوسم بالصلاح ليدخله الحجرة الشريفة تحت أستار كسوة القبر المعظم فإنه هديته (ص).

فإن وقع فى حيز القبول بيضته وإلا ضيعته قبل أن تنتشر منه النسخ، فأدخله

تحت واستمر فيه ليلتين ثم رده إلى وبشرني بأنه وقع في حيز القبول من حضرة الرسول وشفعه في جميع القروع فحمدت الله على ذلك وببضته بعون الملك المالك فالحمد لله على ما أنعم وألهم ثم له الحمد على أنه كما بدأ نعم حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه حمداً يوفى نعمه ويكافئه مزيداً كما ينبغي لجلال وجهه وعظمته سلطانه حمداً يستوجب المزيد الموعود بقوله تعالى «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» [إبراهيم، ٧].

واكمل الصلاة والتسليم على المبعوث بالقرآن الحكيم والموصوف بالخلق العظيم المتعوت بأنه بالمؤمنين رؤف رحيم صلاة وسلاماً تجازيان عناء وتوازيان غناه وعلى آله وأبائه وأمهاته وأزواجه وذرياته وورثة علومه وعباداته وغفر الله لنا ولوالدينا وإخواننا قلباً وصلباً وديناً ولجميع المسلمين والمسلمات.

«ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم» الحشر / ١٠. «دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ لَيْهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [يونس: ١٠].

هذا آخر ما في رسالة السيد محمد بن رسول البرزنجي المؤلفة في نجاته الأبوين المنزلة بالخاتمة التي في نجاته أبي طالب عم النبي (ص).

(قال المؤلف رحمه الله تعالى) وكان الفراغ من تسويد ذلك يوم السبت الثامن عشر من شهر شعبان المبارك سنة ألف وثلاثمائة وثلاثة من هجرة النبي (ص).

ملاحق الكتاب

ملحق (١)

سؤال للشريف عبدالمطلب رحمه الله تعالى سنة ١٢٩٩ هـ.

ما قولكم أيها العلماء الأعلام ومصاييح الضلال قمع الله بكم طغام اللثام ولثام الطغام فيمن انتدب ممن يزعم أنه من طلبة العلم لهدم قبر أبي طالب عم النبي (ص) زاعماً أنه من المناكر التجمع عليها في بلد الله الحرام وكتب للحكام يدور به على العلماء وخلافهم من الأثام يحرضهم على أن يساعدوه على هدم قبر هذا الكافر بهذا اللفظ الشنيع ونحوه من الكلام غير مهال إلى ما يترقب على ذلك من بعث فتنة نائمة لعن الله من اقتضها.

فإن كثيراً من أهل السنة والجماعة من بنى هاشم وغيرهم يعتقدون نجاة تبعاً لما جاء في ذلك ولما نقله الجهابذة الفخام الحقيقتون بأن يتخذوا حجة للمخلق لدى الملأ العلام وهم السبكي والقرطبي والشعراني رحمهم الله تعالى على الدوام أن الله أحيا أبا طالب وآمن بالمصطفى ومات مسلماً.

قال الإمام المحقق السجيني بعد نقله ذلك وهذا هو الذي اعتقده والقي الله به فيكون هذا العذاب حصل له قبل إحيائه ويكون المراد بالقيامة قيامته وهي خروج روحه من جسده فيأهل ترى هؤلاء العلماء جهلوا ما ورد في حق أبي طالب من نصوص الشريعة فلم يسع هذا المنتدب المبغض السكوت تقلداً لقدحه في ادعائه الإجماع الذي زعمه مع ما فيه من أذية رسول الله (ص) وآله ومحبيه وهل جهله بذلك يكون عذراً له فيما تطلبه مما ليس يعنيه؟

وهل يجب على الحكام ايدهم الله تعالى زجر هذا المبغض بما يليق به ويكون
زاجراً له ولغيره عن الحركات الباعثة للفتن وتنافر قلوب المسلمين؟

فإن القائلين بنجاته أهل شوكة وشكيمة في هذا البلد الأمين أفيدونا نصر الله
بكم الإسلام وأنار بمصايحكم حالكم الظلام.

الجواب، والحمد لله رب العالمين رب زدني علماً قال بعض المفسرين في قوله
تعالى «قل لا أمثلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» الشورى / ٢٣ أى على تبليغ الرسالة أى
أن تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمتي وذلك إنه لم يكن حى من قرشي إلا وفيهم له
(ص) قرابة فكانه يقول إن لم تؤمنوا بي فاحفظوا قرابتي فيكم ولا تؤذوني أ هـ.

وقال تبارك وتعالى «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم
عذاباً مهيناً».

وفى شرح الشهاب لابن وحشى قال أبو الطاهر من أبغض أبا طالب فهو كافر
بأنه عز وجل.

وفى معروضات المفتى ابي السعود سؤال طالب علم ذكر عنده حديث نبوى.
فقال: أكل أحاديث النبى (ص) صدق؟

فاجاب بأده يكفر أولاً بسبب الاستفهام الإنكارى.

وثانياً بإلحاقه الشين بالنبى (ص) الدر المختار إذا تكلم بكلمة الكفر ولم يدر أنها
كفر.

قال بعضهم لا يكون كفراً ويعذر بالجهل.

وقال بعضهم يصير كافراً بذلك تنقيح.

وقال فى المختار ينبغى أن يحفظ اللسان عما يجب الاحتراز عنه لقوله (ص)، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت.

وعنه (ص) البلاء موكل بالمنطق اهـ.

وعليه فيلزم الولاية أيدهم الله تعالى أجراً ما يستحقه على ما صدر منه مما يسد باب الجرأة ويزجر أهل الجرأة والفساد كما قال تعالى «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» [المائدة، ٣٣] إلى آخر الآية والله سبحانه وتعالى اعلم.

ملحق (٢)

فتوى احمد بن عبدالله ميرغني مفتي الأحناف

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والسالكين
نهجهم بعده اللهم أسألك هداية للصواب.

اعلم رحمك الله تعالى أن أبا طالب عم النبي (ص) ادعى إناس أن أهل السنة
والجماعة اتفقوا على عدم نجاته وتمسكوا في ذلك بظواهر من الكتاب والسنة.

ودعواهم اتفاق أهل السنة على عدم نجاته دعوى غير صحيحة فقد وجد كثير
من أهل السنة يقولون بنجاته منهم الإمام القرطبي والإمام السبكي والإمام الشعرائي
كما ذكره السائل في سؤاله فقد راجعت ما ذكره في شرح العلامة السحيمي على شرح
الشيخ عبدالسلام اللقاني على منظومة والده المسماة بجوهرة التوحيد في بحث
الشفاعة عند قول الناظم وواجب شفاعة المشفع فوجدته نقل عن القرطبي والسبكي
والشعرائي أن الله أحيا أبا طالب وآمن بالمصطفى (ص) ثم مات مسلماً.

قال العلامة السحيمي وهذا الذي اعتقده وألقى الله عليه.

وذكر السحيمي قبيل قول الناظم ومنجز لمن أراد وعده أن ابن سعد وابن عساكر
رويا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأل رسول الله (ص) ما ترجو لأبي طالب قال
كل الخير أرجو من ربي.

والإمام القرطبي والسبكي والشعرائي كل منهم من أكابر أهل السنة يحتج بقوله

وكذا العلامة السحيمى فبطلت دعوى من ادعى أن اهل السنة متفقون على عدم نجاته.

وثبت أنه يوجد من اهل السنة من يقول بنجاته وحيث وجد الاختلاف فاللائق الاحتياط واقل المراتب التفويض إلى الله تعالى والسكوت والتوقف وعدم الخوض فى ذلك والاقتصار على قدر الضرورة فى ذكر الأحاديث الواردة فيه مع غاية الأدب والخوف لأن الاحتياط من الورع.

فقد قال (ص) دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

وقال (ص) اليس وقد قيل لما جاءه عقبة بن الحارث فقال، يا رسول الله تزوجت امرأة فجاءتنا امرأة سوداء. فقالت: قد أرضعتكما وهى كاذبة.

فقال (ص): كيف تصنع بها وقد زعمت انها أرضعتكما دعها عنك. اى طلقها.

فراجعت النبى (ص) وقلت يا رسول الله إنها امرأة سوداء اى فلا يقبل قولها.

فقال: اليس وقد قيل. فأرشدته (ص) إلى طريق الورع والاحتياط وإن لم تقبل شهادة تلك المرأة.

وحيث قال جماعة من اهل السنة بإحياء أبى طالب وإيمانه ونجاته فالاحتياط عدم التعرض له بتنقيص لأن التعرض له لاسيما إذا كان بأفحش العبارات يؤذى النبى (ص) لأن أبى طالب ربه النبى وكان يحبه ويذنب عنه لما بعث.

ويؤذى أيضا أقاربه (ص) الأحياء والأموات.

وقد قال تعالى « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ».

وقد أخرج الديلمى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله (ص) قال اشتد غضب الله على من آذانى فى قرابتى.

وروى الطبرانى والبيهقى أن بنت أبى لهب واسمها سبيعة وقيل درة قدمت المدينة مسلمة مهاجرة فقيل لها لا تغنى عنك هجرتك وأنت بنت حطب النار فتأذت من ذلك فذكرته للنبي (ص) فاشتد غضبه ثم قام على المنبر فقال: ما بال أقوام يؤذونى فى نسبى وذوى رحمى من آذى نسبى وذوى رحمى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى.

وأخرج ابن عساكر عن على رضى الله عنه أن رسول الله (ص) قال من آذى شعرة منى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى.

وروى الطبرانى والإمام أحمد والترمذى عن المغيرة ابن شعبه عن النبي (ص) أنه قال لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات.

ولاشك أن النطق بقبيح القول فى حق أبى طالب والتشديد به فى مجالس الخاصة والعامة وسفهاء الناس يؤذى أولاد على رضى الله عنه الموجودين الآن بل ويؤذى أمواتهم فى قبورهم.

ويؤذى النبى (ص).

فقد قال تعالى «والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم».

وقال تعالى «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً».

وهذا هو ملحظ من قال بكفر مبغض أبى طالب لأن فيه إيذاء للنبى وإيذاؤه (ص) كفر يقتل فاعله إن لم يتب.

وعند المالكية يقتل فاعله إن لم يتب وعندهم أيضاً يقتل وإن تاب.

وسأذكر لك نبذة من أخبار أبى طالب تعلم بها محبته للنبى (ص) وتعلم محبة النبى (ص) له وأنه يؤذيه بغضه وتعلم بها أن ماذهب إليه القرطبى والسبكى والشعرانى والسحيمى له وجه وجيه.

فمن أخبار أبى طالب أنه ربي النبى (ص) أحسن التربية وكان يقدمه فى البر على أولاده وشرح ذلك يطول ثم لما بعثه الله تعالى تعرض قريش لإيذائه فمنعهم أبو طالب.

وقال لهم إن ابن أخى فى حمايتى فلم يستطيعوا أن يردوا حمايته فصار (ص) يدعو الناس إلى الله جهراً فلما هشت دعوته (ص) شق الأمر عليهم فاجتمعوا وجاءوا

إلى أبي طالب بعمارة بن الوليد.

وقالوا له خذ هذا بدل محمد ويكون كالأبن لك وأعطنا محمداً لنقتله.

فقال ما أنصفتموني يا معشر قريش آخذ ابنكم أربيه وأعطيكُم ابني تقتلونه ثم

قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وأبشر بذلك وقر منك عيونا
ودعوتني وعلمت إنك ناصحي^(١) ولقد دعوت وكنيت ثم أمينا
لولا الملامة أو حذار مسيبة لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

ولما تزوج النبي (ص) خديجة بنت خويلد رضى الله عنها خطب أبو طالب وحضر

أبو بكر ورؤساء مضر.

فقال أبو طالب في خطبته الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع

إسماعيل وضئني معد وعنصر مضر وجعلنا حصنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا

محجوجا وحرمنا آمنا وجعلنا الحكم على الناس ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله

(١) كتب الشنواني على شرح الفاكهي عند قول أبي طالب ودعوتني وعلمت الخ ما نصه هو مات

كافرا وهو عم النبي (ص) بخلاف أبيه (ص) فانهما ماتا مؤمنين لكن نقل الشيخ البراوي عن

الشيخ السعيني عن غيره أن الله أحيا أبا طالب وآمن به وأمانته ثانيا مؤمنا ودخل الجنة وقال

البراوي من كان يحب النبي (ص) وآله وأصحابه وأتباعه فليعتقد ذلك ونقل ما تقدم من إحيائه

وأمانته ثانيا مسلما عن أربعة عشر صحابيا وهو من خصوصيات أبي طالب وهذا لا يناهى

الأخبار الواردة بموته كافرا لأننا نقول إنه مات ثم أحيا كما مر اهـ.

لا يوزن برجل إلا رجح به شرفا ونبلًا وفضلا وعقلا فإن كان في المال قل فإن
المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد
وبذل لها ما آجله وعاجله كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم.

فلما أتم أبو طالب الخطبة تكلم ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة فقال:

الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عدت فنحن سادة العرب
وقادتها وأنتم أهل لذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد أحد من الناس فيركم
وشرفكم وقد رغبتنا في الاتصال بحبيلكم وشرفكم فاشهدوا على معاشر قريش بأنني قد
زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبدالله على كذا ثم سكت.

فقال أبو طالب: قد أحببت أن يشركك عمها وهو عمر ابن أسد.

فقال عمها: اشهدوا يا معشر قريش إنني قد أنكحت محمد بن عبدالله خديجة
بنت خويلد. فقبل النبي (ص) النكاح.

فتأمل خطبة أبي طالب وذكره شأن النبي وتفرسه فيه كل خير وكان ذلك قبل
مبعث النبي بخمس عشرة سنة.

وأخرج البيهقي عن أنس قال جاء أعرابي إلى النبي (ص) وشكا الجذب والمحيط
وأنشد أبياتا فقام رسول الله حتى صعد المنبر فرفع يديه إلى السماء ودعا فما ردَّ يديه
حتى التقت السماء بأبراقها ثم بعد ذلك جاءوا يضجون من المطر خوف الغرق فضحك
رسول الله (ص) حتى بدت نواجذه.

ثم قال لله در أبى طالب لو كان حيا لقريت عيناه. من ينشدنا قوله؟ فقال على
رضى الله عنه وكرم الله وجهه كأنك تريد قوله،

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال (ص): أجل.

وهذا البيت من قصيدة طويلة لأبى طالب قالها حين كان يذب قريشا عن النبى
منها قوله،

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| كذبتهم وبیت الله نبزى محمداً | ولما نطاعن دونه وتناضل |
| ونسلمه حتى نصرخ حوله | ونذهل عن ابنائنا والخلائل |
| لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد | واحبيبه داب الحب الموائل |
| فمن مثله فى الناس اى مؤمل | إذ قاسه الحكام عند التفاضل |
| حليم رشيد عاقل غير طائش | يوالى إلها ليس عنه بغافل |

ومنها قوله،

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| وقد علموا أن ابننا لا مكذب | لدينا ولا يعنى بقول الأباطل |
| وأصبح فينا أحمد فى أرومة | تقص عنها سورة المتطاول |
| حديث بنفسى دوته حميته | ودافعت عنه بالذى والكلال |

والقصيدة طويلة وله اشعار كثيرة غيرها فى مدح النبى (ص) ولما حضرت الوفاة

أبا طالب جمع أشراف قريش وأوصاهم بوصية تدل على كمال محبته للنبي (ص)
ومعرفته صدقه.

فقال يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع
وفيكُم المقدام الشجاع والواسع الباع واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا
أحرزتموه ولا شرفاً إلا أدركتموه فلکم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة
والناس لكم حرب وعلى حريكم الرب وانى أوصيكم بتعظيم هذه البنية يعنى الكعبة فإن
فيها مرضاة للرب وقواماً للمعاش وثباتاً للوطاة وصلوا أرحامكم فإن في صلة الرحم
منسأة أى فسحة في الأجل وزيادة في العدد وتركوا البغى والعقوق ففيهما هلك
القرون قبلکم اجيبوا الداعى واعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة والممات وعليكم
بصدق الحديث وإداء الأمانة فإن فيها محبة في الخاص ومكرمة في العام وأوصيكم
بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم
به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وإيم الله كأنى انظر إلى
صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا
كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناناً
ودورها خراباً وضعفاؤها أرباباً وإذا أعظمهم عليه أجوجهم إليه وأبعدهم منه أحظاهم
عنده قد محضته العرب ودادها وأعطته قيادها.

يا معشر قريش كونوا له ولادة ولحزبه حماة وفى رواية دونكم ابن أبيكم كونوا له
ولادة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد ولا يأخذ أحد يهديه إلا سعد ولو
كان لنفسى مدة ولأجلى تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي.

وقال لهم مرة لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فأطيعوه
تشدوا.

فانظر واعتبر كيف وقع جميع ما قاله من باب الفراسة الصادقة.

وقد روى أبو طالب عن النبي (ص) أحاديث منها ما ذكره الحلبي في سيرته
فقال: وروى أبو طالب عن النبي (ص) فقال حدثني محمد أن الله أمره بصلة الأرحام
وأن يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره.

وقال سمعت ابن أخي يقول اشكر ترزق واكفر تعذب.

ولما مات أبو طالب نالت قريش من النبي (ص) من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في
حياة أبي طالب حتى أن بعض قريش نثر التراب على رأسه الشريف وكان (ص) يقول
ما نالت مني قريش شيئاً أكره حتى مات أبو طالب.

ولما رأى قريشاً تهجموا على أذنيه قال ياعم ما أسرع ما وجدت بعدك.

ومات هو وخديجة في عام واحد فكان (ص) يسمى ذلك العام عام الحزن.

وإنما اطلت الكلام في ذلك لتعلم محبة أبي طالب للنبي ومحبة النبي له، وتعلم
أيضاً أن ما قاله الأئمة الأعلام وهم القرطبي والسبكي والشعراني والسحيمي من أن
الله أحياء وآمن بالنبي (ص) له وجه وجيه.

ولذلك قال السجيمى وهو الذى اعتقده والقى الله به واقول أيضا كما قاله أنه هو الذى اعتقده والقى الله به وهكذا ينبغي لمن له محبة للنبي (ص) وقرابته فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فيجب على ولاية الأمر ثبت الله بهم قواعد الدين اجراء التأديب اللازم بما يحصل به الزجر سدا للذريعة وحسما للخوض فى مثل ذلك لما يترتب عليه من القتن العظيمة والله تعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم أمر برقمه خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام المترجى من ربه الغضبان أحمد بن زيني دحلان مفتى الشافعية بمكة المحمية غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين أجمعين آمين.

وصلى اللهم على سيدنا وموالانا محمد وعلى آله وسلم فى كل لحظة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

فهرس الكتاب

| | |
|-----|---|
| ٤ | - تقديم |
| ١٤ | - مقدمة المؤلف |
| ١٩ | - الباب الأول: إثبات الإيمان |
| ٣٠ | - الباب الثاني: أبو طالب والنبي |
| ٤٧ | - الباب الثالث: شعر أبي طالب |
| ٥٥ | - الباب الرابع: أبو طالب والشفاعة |
| ٧٠ | - الباب الخامس: نجاة أبي طالب |
| ١٠٢ | - ملحق (١) |
| ١٠٤ | - ملحق (٢) |

قطايع سجل العرب

و شايخ - عماد الدين - الفهر - ج. ١
ب. ٩٣٧٠٦ ص ١٣١٥

هذا الكتاب

دعوة إلى أعمال العقل ليس في نسب
النبي (ص) فقط وإنما في التراث الإسلامي
بأكمله . فإن قضية التشكيك في أبي طالب
إنما الهدف منها التشكيك في النبي وفي
دعوته ..

وهي قضية واهية بلا جذور ولا أساس ..
والسؤال الذي يطرح نفسه هنا :
ما هي الفائدة من وراء تكفير أبي طالب ؟
ما هي الفائدة من التشكيك في إيمان
السند الأكبر للنبي (ص) في بداية
الدعوة ؟

ما هو الهدف من وراء هذا الموقف من أبي
طالب وأبوي النبي في الوقت الذي تضمني
صبغة إسلامية والإيمان على أبي سفيان
وولده معاوية والحكم بن العاص وولده
مروان الذين كانوا وبالا على الإسلام
والمسلمين ولعنوا على لسان الرسول ؟